محمد أبو سمرة(*)

زئيف جابوتنسكي والقضية الفلسطينية

[قراءة في مكونات الفكر الصهيوني اليميني]

مدخل

زئيف جابوتنسكي هو مؤسس الحركة الصهيونية التصحيحية أو التنقيحية بعد انفصاله عن المنظمة الصهيونية بقيادة كل من حاييم وايزمان (١٨٧٤- ١٩٥٢) والحركة العمالية، وذلك بسبب اعتبار مواقفهما مهادنة تجاه السياسة البريطانية التي صاغها وزير المستعمرات ونستون تشرتشل (١٨٧٤- ١٩٦٥) في الوثيقة المعروفة باسم الكتاب الأبيض في العام ١٩٢٢ والقاضية بفصل شرقي الأردن عن فلسطين وتحديد حجم الهجرة اليهودية بحسب القدرة الاقتصادية للبلاد. ومع أن الوثيقة عادت وأكدت على استمرار التزام بريطانيا بدعم الأهداف الصهيونية في فلسطين إلا إن ورود بعض التطمينات حول المحافظة على حقوق أهل البلاد الفلسطينيين أثار شكوك جابوتنسكي وحفيظته. في العام ١٩٢٥ أنشأ الحركة التصحيحية الصهيونية بهدف إجراء مراجعة جديدة لسياسة المنظمة الصهيونية خاصة تلك المتعلقة بتوضيح نهجها السياسي وأهدافها النهائية في فلسطين. خلافا لموقف وايزمان الذي مال في حالات معينة لتبني سياسة تمويه الأهداف النهائية للصهيونية والتدرج في تحقيقها اعتقد جابوتنسكي أن الإعلان سلفا وبشكل واضح عن الهدف النهائي للحركة، ألا وهو إقامة دولة قومية ذات أكثرية يهودية في فلسطين على ضفتي النهر الغربية والشرقية، سيلعب دورا حاسما في إقناع الفلسطينيين بجدية النوايا الصهيونية وفي كسر شوكة معارضتهم للمشروع الصهيوني في وطنهم. مع استمرار الخلافات خاصة تلك المتعلقة في الجوانب التكتيكية لوسائل العمل السياسي عامة وفي فلسطين خاصة انفصلت الحركة التصحيحية عن المنظمة الصهيونية في العام ١٩٣٣.

لم يؤثر هذا الانفصال على دور وتأثير جابوتنسكي وتأثيره على

(*) باحث وأكاديمي فلسطيني مقيم في القدس. المقال مترجم عن العبرية.

فلاديمير زئيف جابوتنسكي

الخطاب الصهيوني وتطوره، إذ استمرت منظمات عسكرية مثل "الإيتسل" و"الليحي" وحركات سياسة وحزبية مثل "حيروت" و"الليكود" بحمل أفكاره السياسية والعمل على تحقيقها. كما أن شخصيات سياسية وثقافية إسرائيلية مختلفة اعتبرت نفسها وريثة مخلصة لأفكاره الأيديولوجية ولتوجهاته السياسية: مناحيم بيغن (١٩١٣- ١٩٩٢)، إسحق شامير (١٩١٥-)، أريئيل شارون (١٩٢٨-)، غيئولا كوهن (١٩٢٥-)، إيهود أولمرت (١٩٤٥)، بنيامين زئيف بيغن (١٩٤٣-)، دان مريدور (١٩٤٧-)، بنيامين نتنياهو (١٩٤٩-)، تسيبي ليفني (١٩٥٨-) وكثيرون غيرهم. ويعتبر جابوتنسكي بالنسبة لهم ولفئات مختلفة في المجتمع الإسرائيلي مرشدا وأبا روحيا وسياسيا. فيما حاولت شخصيات مختلفة شرعنة برامجها السياسية بواسطة إرجاع مصادرها لمدرسته الفكرية والسياسية، حيث ما زال اسمه يتمتع بمكانة رمزية ويعتبر مرجعية سياسية وأخلاقية يتم استخدامها من أجل تبرير مواقف معينة ودحض أخرى من قبل النخب السياسية والثقافية في إسرائيل. يشار هنا إلى أن الخلاف التاريخي مع الجناح المركزي في الحركة الصهيونية، ذلك المتمثل في ما يسمى بـ "تنوعات هعفوداه" (الحركة العمالية) تمحور حول قضايا تكتيكية بدون الإستراتيجيا المتعلقة بإنشاء الوطن القومي والموقف من القضية الفلسطينية عامة. فباستثناء مجموعة بريت شالوم (تحالف السلام) اليسارية التي أيدت فكرة الوطن المشترك والدولة الثنائية القومية كحل سياسي للنزاع ساد إجماع عام في الحركة الصهيونية على اعتبار فلسطين وطنا قوميا لليهود وحدهم، يتمتع العرب فيه بحقوق مدنية فقط، كما سنرى لاحقا خلال البحث.

ولد فلاديمير زئيف جابوتنسكي في العام ١٨٨٠ في أوكرانيا في مدينة أوديسا وتوفي في العام ١٩٤٠ في ضواحي نيويورك. لم يكن جابوتنسكي قد تجاوز سن السادسة عندما توفي أبوه وتولت أمه من بعده تربيته وتعليمه في ظروف مادية صعبة. لقد بدأ مزاولة الكتابة الصحافية في سن السابعة عشرة وعمل لاحقا مراسلا لصحيفة أوديسية في سويسرا وايطاليا. خلال فترة عمله في ايطاليا درس القانون والتحق أيضا في مساقات في مجالات مختلفة، إلا إنه لم يكمل متطلبات دراسته الرسمية. لقد اشتهر في الكتابة الصحافية، والأدبية والترجمة وأجاد التحدث والكتابة في لغات عدة مثل الروسية، والايطالية، والألمانية، والفرنسية، إضافة إلى العبرية واليديش (لهجة ألمانية مكتوبة بأحرف عبرية تطورت مع الوقت إلى لغة خاصة بيهود أوروبا الغربية والشرقية).

احتل واقع يهود أوروبا الشرقية مكانة مركزية في كتاباته، فرصد أشكال التمييز القانوني والسياسي والاجتماعي ضدهم ودوّن معاناتهم الحياتية اليومية في ظل اللاسامية المتنامية. لقد كان لتكرار أعمال البُوغروم (كلمة روسية تعني مجزرة أو مذبحة) التي تعرضت لها تجمعات يهودية في أوروبا الشرقية وروسيا خاصة من قبل أبناء الأغلبية السكانية أثر كبير على رؤيته للحل السياسي المطلوب للحالة اليهودية، والذي يستند الى إقامة تجمع قومي مستقل قادر على حماية نفسه من اعتداءات الأغيار.

يعتبر جابوتنسكي من حيث توجهاته الفكرية والسياسية ليبراليا، فهو يؤمن بالمساواة التامة بين الأفراد على تباين خلفياتهم العرقية والدينية المختلفة. وينسب اليه شعار مشهور يقول إن كل فرد هو ملك، والذي يعني حق الفرد في التمتع المطلق بحريات مختلفة مثل التعبير عن الرأي، الدين، والضمير وغيره. على ضوء توجهاته الليبرالية هذه وانتمائه لجماعة عانت من التمييز والمطاردة الدينية والعرقية في ظل انتشار اللاسامية تبرز للعيان مفارقة مواقفه من القضية الفلسطينية وعدم مبالاته إزاء الثمن الإنساني الذي سيدفعه الفلسطينيون تسديدا لفاتورة برنامجه القومي الإقصائي في فلسطين.

يسعى هذا البحث الى قراءة في محاولات جابوتنسكي والحركة التصحيحية والصهيونية عامة، اللهم ما عدا استثناءات هامشية، والرامية الى التأسيس الفكري والسياسي الاخلاقي لتحقيق المطالب القومية اليهودية في فلسطين، وفي الوقت ذاته سلب ذات الحقوق

يعتبر جابوتنسكي من حيث توجهاته الفكرية والسياسية ليبراليا، فهو يؤمن بالمساواة التامة بين الأفراد على تباين خلفياتهم العرقية والدينية المختلفة. وينسب اليه شعار مشهور يقول إن كل فرد هو ملك، والذي يعني حق الفرد في التمتع المطلق بحريات مختلفة مثل التعبير عن الرأي، الدين، والضمير وغيره. على ضوء توجهاته الليبرالية هذه وانتمائه لجماعة عانت من التمييز والمطاردة الدينية والعرقية في ظل انتشار اللاسامية تبرز للعيان مفارقة مواقفه من القضية الفلسطينية وعدم مبالاته إزاء الثمن الإنساني الذي سيدفعه الفلسطينيون تسديدا لفاتورة برنامجه القومي الإقصائي في فلسطين.

القومية من الفلسطينيين، أصحاب الحق الطبيعي في وطنهم. فجابوتنسكي، كغيره من النخبة السياسية والثقافية، كان واعيا، كما يتجلى من خلال كتاباته، الى أن حل إشكال المنفى اليهودي سيؤدي حتما الى بداية خلق الشتات الفلسطيني أكان ذلك في صيغة تحويلهم الى أقلية في وطنهم تتمتع بحقوق مدنية فردية فقط أم في نفيهم كليا أو جزئيا من هذا الوطن. فجميع الحلول التي اقترحت آنذاك أو لاحقا مثل الكانتونات، والحكم الذاتي، وحتى الدولة المحدودة السيادة المقترحة اليوم، هي جزء من التوجه الصهيوني الأصلي المتنكر لحق الشعب الفلسطيني في وطنه. في هذه المقالة سنحاول فهم موقف جابوتنسكي من المسألة الفلسطينية وذلك من خلال رصد وتحليل كتاباته السياسية والأدبية والتركيز على المفاهيم والمنطلقات السياسية والفكرية التي أثرت على صوغ وبلورة مواقفه تجاه القضية الفلسطينية والصراع على فلسطين. من هنا، سنركز على المواضيع التالية:

موقف جابوتنسكي من مسألة الهوية الوطنية الفلسطينية.

موقفه من مسألة الحق (والسيادة) على فلسطين.

برنامجه السياسي والعسكري لإدارة الصراع مع الحركة الوطنية الفلسطينية.

وأخيرا واقع الفلسطينيين في ظل السيادة اليهودية: بين الحقوق المدنية وخيار التهجير.

مسألة الحق في البلاد والهوية الوطنية الفلسطينية

يقول جابوتنسكي في شهادته أمام اللجنة الملكية (البريطانية) "بيل" في العام ١٩٣٧، وذلك في سياق تطرقه إلى المشكلة اليهودية: " . . إنها لسذاجة كبيرة إلقاء اللوم في واقع الشروط الكارثية لحياة اليهود، على عاتق البشر فقط، سواء أكان ذلك بجرم غوغاء ورعاع أم بجرم حكومات. فجذور الأمر أعمق بما لا يقاس. . [فسبب المعاناة اليهودية] يتمثل في حقيقة "النفي"، حقيقة أننا نشكل أقلية في كل مكان. هذه ليست لاسامية أفراد أو بشر، إنها أولا وقبل كل شيء لاسامية بنيوية"[١].

يستند الادعاء الذي يطرحه جابوتنسكي إلى فهمه القائل إن معاناة اليهود ناجمة بالأساس عن الظروف الموضوعية لحياتهم، وعن حقيقة أنهم يشكلون في كل مكان أقلية تخضع لمشيئة ورحمة شعوب أخرى، وذلك من دون أن يكون لرغباتهم وتطلعاتهم أي دور في تقرير مصيرهم ونمط الحياة الذي يرغبون فيه. فمصيرهم، ومستقبلهم، ونمط حياتهم يتقرر ويتشكل بحسب رغبة ومشيئة المحيط الخارجي الذي يعيشون بين ظهرانيه.

يقول جابوتنسكي إن "تاريخ الشعب اليهودي في المنفى ليس تاريخا صنعه اليهود وإنما هو التاريخ الذي صنعوه لليهود"[٢]، أي أن اليهود في الشتات ليسوا ذاتا لأنفسهم لها تطلعاتها ورغباتها الخاصة، وإنما موضوع لرغبات الآخرين ومشيئتهم، موضوع للملاحقة والاضطهاد. نتج عن هذا الواقع الموضوعي بحسب جابوتنسكي "لاسامية" بنيوية والتي لا يمكن معالجتها بواسطة حلول جزئية، وإنما بواسطة تغيير جوهري شامل في ظروف حياة اليهود، ويتمثل في إخراجهم من المحيط الخارجي الذي يعيشون فيه كأقلية، وتجميعهم في بقعة جغرافية خاصة، يصبحون فيها أغلبية ذات سلطة وسيادة على حياتهم القومية. ذلك لأن محنة اليهود لا تتجلى فقط – وفق رؤيته– في عدم امتلاكهم كيانا قوميا يتمتع بإدارة ذاتية ويكون قادرا على ضمان وحماية حقوقهم الأساسية كأقلية قومية، وإنما في عدم إمتلاكهم بقعة جغرافية يستطيعون فيها تحقيق وتجسيد استقلالهم القومي. من هنا، إذا كانت المشكلة اليهودية هي مشكلة عدم وجود بقعة أرض، فإن الحل لهذه المشكلة هو، وفقا لجابوتنسكي،

يشير جابوتنسكي في مقاله "الصهيونية وأرض إسرائيل" الذي كتبه في العام ١٩٠٥، إلى أن اختياره فلسطين لا ينبع من عاطفة او غريزة فطرية وإنما هو مبني على اعتبارات عقلانية عملية تقتضي هذا الاختيار ...(....) "إن العلاقة بين الصهيونية وصهيون بالنسبة لنا ليست مجرد مسألة غريزة أو عاطفة قوية يجب المحافظة عليها، وإنما أيضا استنتاج راسخ شديد الأهمية ينبع من اعتبارات وضعية خالصة"[٤].

شعار - الايتسل: "فقط هكذا"، (بالسلاح و"أرض إسرائيل الكبرى")

والصهيونية بشكل عام، حل إقليمي. أي تجميع اليهود في بقعة أرض خاصة بهم ويتم الاعتراف بها من قبل المجتمع الدولي وخاصة الدول العظمى. والسؤال المطروح هنا: إذا كانت المشكلة اليهودية هي مشكلة عدم وجود بقعة أرض، إذن لماذا في هذه البلاد بالذات، والتي تشكل الوطن القومي للفلسطينيين، وليس في أي بلد آخر، يجب أن يقام الوطن القومي لليهود؟!

وتأتي أهمية هذا السؤال بشكل خاص في ضوء حقيقة أن جابوتنسكي لم ينشأ في بيت ذي تقاليد يهودية قوية، كما أن اليهودية ليست بارزة في ثقافته وتربيته ووجهة نظره؛ وكذلك في ضوء شهادته هو نفسه: "لم تكن لدي وقتئذٍ أية علاقة حب رومانسية لأرض إسرائيل، ولست واثقا إذا ما كان مثل هذا الحب موجود الآن أيضا"[٣]. إذا ما كانت هذه النزعة الدينية والرومانسية معدومة فلماذا يلح جابوتنسكي على فلسطين بالذات دون سواها، كاختيار جغرافي لإقامة الوطن القومي لليهود؟!

يشير جابوتنسكي في مقاله "الصهيونية وأرض إسرائيل" الذي كتبه في العام ١٩٠٥، إلى أن اختياره فلسطين لا ينبع من عاطفة او غريزة فطرية وإنما هو مبني على اعتبارات عقلانية عملية تقتضي هذا الاختيار ...(....) "إن العلاقة بين الصهيونية وصهيون بالنسبة لنا ليست مجرد مسألة غريزة أو عاطفة قوية يجب المحافظة عليها، وإنما أيضا استنتاج راسخ شديد الأهمية ينبع من اعتبارات وضعية خالصة"[٤].

فما هي هذه الاعتبارات؟

إن أحد الاعتبارات التي يطرحها في مقاله هو "إرادة الشعب"، مشيراً إلى أن الحركة الصهيونية لن تنجح في تحقيق أهدافها في أية بقعة أرض أخرى- عدا أرض فلسطين- لأن مثل هذه البقعة لا تلائم رغبة الشعب اليهودي وإرادته. بمعنى أنه إذا كانت بقعة الأرض المستهدفة لا تجتذب اليهود بجموعهم ولا تلبي رغباتهم، فإن الحركة الصهيونية لن تنجح عندئذٍ في تجنيدهم من أجل تحقيق أهدافها وبذلك لن تستطيع التحول إلى حركة شعبية. "باستطاعتنا- يقول جابوتنسكي- أن نقود الشعب فقط في الاتجاه الذي تريد إرادته الأصلية السير فيه. وعندما تقصّينا الإرادة الأصلية لشعب إسرائيل الذي لا أرض له وجدنا (...) أن الطريق الوحيد الذي يمكن لحركة يهودية قومية السير فيه، كي تكون حقا حركة شعبية، هو الطريق المؤدي (...) إلى أرض إسرائيل"[٥]. أي أنه إذا اختارت الحركة الصهيونية أية بقعة أرض لا تكون الجماهير اليهودية مستعدة للهجرة إليها فإنها (الحركة) لن تنجح في تشييد البيت القومي اليهودي. هذا يعني أن المحنة اليهودية لا تكفي من أجل نجاح الحركة الصهيونية في تحقيق أهدافها، وإنما هناك حاجة لهدف (بقعة أرض) تتوفر فيه قوة جذب لليهود. هذا الهدف- يقول جابوتنسكي – الذي تتوفر فيه طاقة جذب لليهود المشتتين في دول العالم، والذي يكونون على استعداد من أجله لبذل جهد دائم، موجود فقط في فلسطين.. فهي بحكم الرابطة الدينية، بقعة الأرض الوحيدة القادرة على اجتذاب جموع اليهود إليها.

يطرح جابوتنسكي اعتبارا عمليا آخر يتمثل في حقيقة وجود قرابة ٨٠ ألف يهودي يعيشون في فلسطين حيث من الممكن أن يشكلوا قاعدة اقتصادية وديمغرافية يمكن تطويرها، وهذا يبقى أفضل من بناء

قاعدة جديدة من الصفر في أية بقعة أخرى. يقول جابوتنسكي في خضم الجدل الذي دار بينه وبين خصومه الصهيونيين "يتعين علينا أن نؤكد مجدداً على حقيقة أنه يعيش في أرض إسرائيل حوالي ٨٠ ألف يهودي، يشكلون قرابة ١١ في المائة من مجموع السكان، ومع أنهم الآن معدومو الثقافة والحيلة من ناحية اقتصادية، ولكن بالإمكان، عن طريق إقامة مدارس وتقديم مساعدة والعمل بصورة منظمة، أن نعيد، في غضون عشر سنوات، تربية وتثقيف كل الجيل الشاب في صفوف هذا الجمهور، بشكل جذري". ويضيف جابوتنسكي معددا البنية التحتية اليهودية: "في أرض إسرائيل لدينا ثلاثون مستوطنة وبنك له فروع وأراض بملكية خاصة.. بل ولدينا حتى مشاريع صناعية معينة.[٦] من السهل بفضل وجود هذه الأرضية الحصول على موافقة الجهات الدولية على إعطاء عهدة على فلسطين أكثر من أية بقعة أرض أخرى".

إن الاعتبار الثالث، والأهم حسب اعتقادي، الذي يطرحه جابوتنسكي كمبرر عقلاني وعملي لاختياره فلسطين كهدف إقليمي للحركة الصهيونية هو حالة ضعف الفلسطينيين على مستويات مختلفة. يقول جابوتنسكي: بسبب ضعف العرب وتخلفهم ونظراً لحقيقة أنهم لا يشكلون قوة سياسية منظمة وقوية، فإن في مقدور اليهود امتلاك تأثير في البلاد وإقامة وطنهم القومي من دون أن يتمكن العرب من تشكيل عقبة جدية أمام هذه العملية، فـ "السكان العرب المحليون تنقصهم الثقافة والعلم كليا، وبالتالي فإن اليهود، الذين استطاعوا امتلاك التأثير والنفوذ حتى في البلدان الأكثر تقدما.. سيتمكنون بسهولة من امتلاك مثل هذا التأثير والنفوذ هنا"[٧]، أي أن مستوى التحضر "المتدني" لأبناء فلسطين، بحسبه، وانعدام تنظيمهم سياسياً، يسهلان تحويل فلسطين وطنا لليهود.

بعدما حدد جابوتنسكي، استناداً للأسباب والمبررات المذكورة، أن فلسطين هي البقعة الأكثر ملاءمة لإقامة البيت القومي اليهودي، يطرح السؤال: ما هو موقفه تجاه حق الفلسطينيين الذين يعيشون في هذه الديار، والتي تشكل وطنا لهم، مع أنهم لم يحصلوا على حق تقرير المصير في إطار كيان سياسي مستقل آنذاك؟ ما هو الأساس الأخلاقي الذي يقيم عليه جابوتنسكي حق اليهود في الهجرة إلى فلسطين وتحويلها إلى "أرض إسرائيل". المفارقة أن التنكر للحق الفلسطيني لم يتم من أجل تحقيق مطلب جماعة تقطن البقعة الجغرافية نفسها وتنافس على السيطرة عليها وإنما باسم جماعة مقترح أن تأتي مستقبلا من كل أنحاء المعمورة لتستوطن فيها بناء على برنامج سياسي ما زال في طور التبلور والتشكل، ومطروحا من قبل حركة سياسية تشكل أقلية هامشية آنذاك داخل المجتمعات اليهودية المختلفة. هل كان يعي مغزى الصهيونية بالنسبة للفلسطينيين والثمن الذي سيدفعونه، أم أنه فكر فقط بمغزاها "الخلاصي" بالنسبة لليهود؟!

قبل أن نتفحص موقفه تجاه هذه الأسئلة، لا بد من الإشارة إلى أن الأمر الذي شغل اهتمام جابوتنسكي هو، في المقام الأول، المشكلة اليهودية. فحلها يعتبر بالنسبة له الأكثر إلحاحا والأكثر أهمية، بل والأكثر أخلاقية وعدالة من أية قضية أخرى. فجابوتنسكي يعتبر المجتمع الدولي الذي لا يحظى فيه الشعب اليهودي بدولة خاصة ومستقلة، عالماً من اللصوص والحرامية، بيت دعارة لا حق له في الوجود، حتى لو كانت باقي المشاكل الانسانية قد حلت على أفضل وجه"[٨]. هذا المقطع يظهر مدى مركزية وجوهرية المشكلة اليهودية في رؤية جابوتنسكي الأيديولوجية. فالعالم يعتبر لديه غير أخلاقي وغير عادل طالما لم يتحقق العدل مع شعبه. من هنا جاء مطلبه، الذي طرحه أمام لجنة بيل، بتمكين اليهود من بناء دولتهم كسائر الشعوب الطبيعية: "رجاء، أعطوه الحصة اللازمة... كي يتمكن من العيش"[٩]. إذا كان ما يطالب به جابوتنسكي هو "حصة طبيعية" لليهود بغية إنقاذهم من محنتهم، أوليس طلبه هذا، والذي يعني إقامة "بيت قومي"، هو حرمان في الواقع للفلسطينيين من "حصتهم الطبيعية" اللازمة لبقائهم كشعب؟!

يتحايل جابوتنسكي على هذه المعادلة بواسطة تحريف سياق مسألة الصراع، فالصراع ليس بين مطلب شعب يعيش في أرضه وبين مطلب حركة قومية أخرى تسعى للسيطرة عليها، وإنما بين جزء من شعب كبير يمتلك منطقة جغرافية مترامية الأطراف وبين آخر لا يملك شيئا. وعلى سبيل المثال فهو يدعي أمام لجنة بيل ذاتها (١٩٣٧) بأنه لا يطالب بـ "حصة" الفلسطينيين وإنما يطالب فقط بجزء يسير من مجمل "الحصة" العربية الكبيرة: "لا أنكر أنه وخلال هذه العملية سيتحول العرب بالضرورة إلى أقلية في أرض إسرائيل هذه. لكنني أنكر أن ذلك هو معاناة. هذه ليست معاناة بالنسبة لأي عرق أو أمة، لديها الآن عدد كبير من الدول القومية، وسينضم إليها في المستقبل المزيد من الدول القومية. فقط جزء، أو فرع واحد من هذا العرق، وهو ليس بالفرع الكبير، سيضطر للعيش في دولة تعود إلى غيره، وهذه هي حال الأمم العظيمة في العالم". ويضيف موضحا موقفه: "من الصعب علي أن أذكر اسم أمة من الأمم الكبيرة، التي توجد لها دول مستقلة ولا يوجد لها في الوقت ذاته فرع واحد يعيش في

يقول يعقوب شفيط في بحثه حول "موقف الحركة التصحيحية من الحركة الوطنية - القومية- العربية" بأن جابوتنسكي يؤكد (في مقاليه "الجدار الحديدي" و"مغزى الجدار الحديدي") بشكل لا لبس فيه أن عرب أرض إسرائيل ليسوا اختراعا إمبرياليا بريطانيا أو اختراعا للقومية العربية أو جهة أخرى، وليسوا جزءا لا يتجزأ من كيان قومي آخر، كما أنهم ليسوا معدومي الهوية القومية أو معدومي الوعي التاريخي والوحدة والمستقبل التاريخيين، وإنما هم كيان تاريخي أصيل ومتميز قوميا. ولقد أقر جابوتنسكي بشكل واضح وصريح "أن لدى عرب أرض إسرائيل شعورا ووعيا قوميا طبيعيا"، وهم يجندون كل قواهم وطاقاتهم لمنع تحول فلسطين إلى أرض إسرائيل، وبسبب هذه الهوية المتبلورة وبسبب المقاومة القومية، ثمة ضرورة لسياسة وأخلاق "الجدار الحديدي"، كما سنرى لاحقا.[١٢]

دول أخرى، وهذا أمر طبيعي بالتأكيد ولا يعتبر بمثابة معاناة من أي نوع كان. كذلك أيضا، عندما يُطرَح إدعاء العرب في مقابل إدعاء اليهود، فإنني أدرك أن أية أقلية تفضل أن تكون أكثرية. ومن المفهوم بالتأكيد أن العرب في أرض إسرائيل يفضلون هم أيضا أن تكون هذه البلاد هي الدولة العربية رقم ٤ أو ٥ أو رقم ٦، هذا الأمر أدركه جيداً، ولكن حين يطرح مطلب العرب في مقابل مطلب اليهود بالانقاذ، يغدو الأمر كمن يسعى لإشباع "شهيته المفتوحة" مقابل مطلب من يشكو من خطر الموت جوعاً".[١٠]

ويكرر جابوتنسكي مراراً، وفي سياقات مختلفة، تشبيه "الشهية" في مقابل "الموت جوعاً"، "أولئك الذين يمتلكون الكثير" مقابل "هؤلاء الذين لا يمتلكون شيئا"، محاولا استناداً إلى ذلك أن يسوغ أخلاقيا المطلب الصهيوني بالحق في البلاد. وبحسب ما يدعيه فإن هناك حقا أخلاقيا لليهود المعدومين في أن يأخذوا من العرب الذين يمتلكون ما يفوق حاجتهم بكثير، وذلك حتى يتمكنوا (اليهود) من حل مشكلتهم وإنهاء معاناتهم وضمان كينونتهم القومية. وعلى سبيل المثال يقول جابوتنسكي في إحدى خطبه، ساعيا بذلك إلى تعزيز وتوطيد الادعاء اليهودي في مقابل الادعاء العربي الفلسطيني: "... علينا أن نطرح هذا الأمر ليس كمسألة بين شعب إسرائيل وسكان أرض إسرائيل العرب، وإنما كمسألة بين شعب إسرائيل والشعب العربي. فالشعب العربي، الذي يبلغ تعداده ٣٥ مليون نسمة، يمتلك ما يقارب نصف مساحة أوروبا، في حين أن شعب إسرائيل، الذي يبلغ تعداده عشرة ملايين نسمة مشتتين ومشردين في أنحاء العالم، لا يمتلك شبرا واحداً من الأرض ولذلك فهو يريد أن يضع يده على هذه الأرض، أرض إسرائيل... نحن نصر على وجهة النظر القائلة: نعطي من لا يملك شيئا، ونأخذ ممن يمتلك أكثر من اللازم".[١١]

واحتل هذا الادعاء مكانة مركزية في سلسلة الادعاءات التي طرحها جابوتنسكي لدعم المطلب الصهيوني بالسيادة على فلسطين، معتبرا أن هناك حقا أخلاقيا لليهود "كشعب مشرد معدوم.. يتهدد الخطر وجوده القومي" في أن يأخذوا من العرب الذين لديهم أراض أكثر من حاجتهم. وأخذ فلسطين من العرب لا يشكل، حسب إدعائه، خطراً على وجودهم القومي، وذلك لأن لديهم وفرة من الأراضي والديار الأخرى التي يمكنهم أن يجسدوا فيها تطلعاتهم الوطنية، لكن من جهة أخرى فإن عدم إعطاء هذه البلاد لليهود يعني الحكم بالموت على وجودهم القومي، نظرا لأنهم لا يمتلكون بقعة أرض أخرى يستطيعون أن يجسدوا فيها حقهم في تقرير المصير. والاستنتاج الذي يخلص إليه هو: إن مطلب اليهود بالسيادة على البلاد والتي تخدم وجودهم القومي، عادل أكثر من مطلب العرب.

يبدو هذا الطرح الذي يؤسسه جابوتنسكي على مبادئ الأخلاق والعدل، مقنعا تماماً. إذ من الصعب، من ناحية أخلاقية، تفضيل طلب شخص ما الحصول على "وجبة" بغية إشباع "شهيته" على طلب ذات الوجبة من قبل شخص آخر "يتضور جوعا". فلا يعقل حرمان إنسان "يتضور جوعاً من حقه في أن يأخذ ولو بالقوة، كي ينقذ حياته، "من حصة" إنسان آخر لديه أكثر من اللازم لضمان بقائه ووجوده". غير أن الإشكالية في طرح جابوتنسكي لا تكمن في المثل المطروح، وإنما في عدم انطباق المثل على واقع الطرفين اللذين ضرب المثل حولهما. فمطلب الحركة الصهيونية تحويل فلسطين وطنا يهوديا يعني في واقع الأمر سلب الفلسطينيين، الذين اعترف جابوتنسكي نفسه بتمايزهم الوطني كما سنرى في الفقرة التالية، من وجبة غذائهم

الوحيدة اللازمة للمحافظة على استمرار بقائهم الوطني. وعليه فالسؤال الحقيقي الذي يجب طرحه هو: ما هو السند الشرعي لسلب جماعة قومية ما وطنها من أجل حل المحنة القومية لجماعة أخرى؟

يقول يعقوب شفيط في بحثه حول "موقف الحركة التصحيحية من الحركة الوطنية – القومية– العربية" بأن جابوتنسكي يؤكد (في مقاليه "الجدار الحديدي" و"مغزى الجدار الحديدي") بشكل لا لبس فيه أن عرب أرض إسرائيل ليسوا اختراعا إمبرياليا بريطانيا أو اختراعا للقومية العربية أو جهة أخرى، وليسوا جزءا لا يتجزأ من كيان قومي آخر، كما أنهم ليسوا معدومي الهوية القومية أو معدومي الوعي التاريخي والوحدة والمستقبل التاريخيين، وإنما هم كيان تاريخي أصيل ومتميز قوميا. ولقد أقر جابوتنسكي بشكل واضح وصريح "أن لدى عرب أرض إسرائيل شعورا ووعيا قوميا طبيعيا"، وهم يجندون كل قواهم وطاقاتهم لمنع تحول فلسطين إلى أرض إسرائيل، وبسبب هذه الهوية المتبلورة وبسبب المقاومة القومية، ثمة ضرورة لسياسة وأخلاق "الجدار الحديدي"، كما سنرى لاحقا.[١٢]

يمكن أن نضيف إلى تشخيص شفيط الدقيق لاقرار جابوتنسكي بوجود قومية فلسطينية إقليمية متمايزة أن هذا الإقرار ينبع بالذات من إنكار الأخير لوجود أمة عربية. ففي مقاله "تركيا في الحرب" يقول في هذا الصدد إن "أي مراقب لن يجرؤ على الادعاء بأن السكان في المغرب وتونس واليمن وسورية والعراق يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة. فهذه الشعوب ما زالت منقسمة بواسطة فوارق عميقة في التاريخ والعادات"، ويضيف أن "التطلعات العربية إلى النهضة والاستقلال لا يمكن أن تعبر عن نفسها في برنامج واضح" وذلك لأنها "تتسم بالضبابية والغموض حالها في ذلك كحال مفهوم الأمة العربية في حد ذاته". وفي مقابل الذين قالوا إن "الأمة العربية تشمل جميع الشعوب الناطقة بلهجات عربية" يدعي جابوتنسكي أن "التشابه بين اللهجات فقط لا يكفي لخلق أمة موحدة".. فالعلامة الدالة على وجود "أمة واحدة موحدة" تتمثل أساسا في الوعي الجمعي بالوحدة القومية، "من هنا، طالما أن هذا الشرط الضروري" غير متوفر لدى العرب في الدول المختلفة، فإن هذه الأمة، كما يقول جابوتنسكي هي بمثابة "سراب" لا يمت إلى الواقع بصلة[١٣]. بناء على هذا التشخيص الذي ينكر وجود قومية عربية واحدة ويقر في المقابل فقط بقوميات عربية محلية مختلفة، يميل جابوتنسكي بشكل طبيعي إلى رؤية الفلسطينيين ككيان قومي منفصل ومستقل. هذا الإقرار بتمايز واستقلالية "القومية" الفلسطينية يبرز بشكل جلي في مقاليه

ملصق لـ"الايتسل"

"الجدار الحديدي" و"مغزى الجدار الحديدي". في مقاله الأول يقول جابوتنسكي: "هناك عرب قلائل يمكن بالتأكيد رشوهم، لكن ذلك لا يعني أن عرب أرض إسرائيل بمجملهم مستعدون للتخلي عن التزامهم وولائهم الوطني". ويضيف في مكان لاحق من مقاله: "لو كان في الإمكان (وأنا أشك في ذلك) إقناع عرب بغداد ومكة أن أرض إسرائيل ليست بالنسبة لهم سوى بقعة نائية صغيرة وغير مهمة، فإن أرض إسرائيل، حتى في هذه الحالة، ستبقى بالنسبة لعرب أرض إسرائيل بمثابة وطنهم، ومركز وأساس وجودهم القومي المستقل"[١٤].

والحال، فإن جابوتنسكي يقر إذن بأن للفلسطينيين هوية قومية خاصة ومميزة، وذلك بحكم انتمائهم إلى فلسطين التي تشكل مركز وجودهم القومي وأساسه. فالمكون الإقليمي– الجغرافي هو الأساس الذي تعرف بناء عليه هذه القومية الفلسطينية. ويمكن أن نضيف أنه نتيجة لإقراره هذا بوجود قومية فلسطينية، رأى جابوتنسكي في الصراع بين الحركتين (الوطنية الفلسطينية والصهيونية) على البلاد بمثابة صراع مطلق لا يمكن حله بواسطة التسويات السياسية، وذلك لأن الفلسطينيين كـ "شعب حي" لن يقبلوا بتقديم تنازلات

إن السؤال المطروح على ضوء إقرار جابوتنسكي الواضح بوجود قومية فلسطينية متمايزة: لماذا يطرح، في سياق تطرقه لمسألة الحق على البلاد، مسألة الصراع على فلسطين على أنها صراع بين الشعب اليهودي والشعب العربي كله، وليس بين الحركة الصهيونية والشعب الفلسطيني؟ فواضح، من خلال مراجعة مجمل أدبياته حول الصراع، أن هناك تحويرا واعيا للمعطيات التاريخية ينبع من اعتبارات تكتيكية ومناورات دعائية. فالاعتبارات الأخلاقية التي شدد جابوتنسكي على محوريتها أمام لجنة بيل، هي سارية المفعول ما دامت تخدم المصالح الصهيونية، ولكن إذا ما حدث وتعارضت هذه الاعتبارات مع المصالح الصهيونية وشرعت تعمل لصالح الموقف الفلسطيني لا بأس من ضربها بعرض الحائط، واللجوء إلى تحريف معطيات الواقع والتاريخ أيضا.

في مسائل مصيرية من هذا القبيل تحت أي ظرف كان. "فطالما بقي لديهم ولو بصيص أمل بالتخلص منا، فإنهم لن يتخلوا عن هذا الأمل مقابل كلام معسول أو وعود سخية"[١٥]. فالحركة الوطنية الفلسطينية ستواصل مقاومة الصهيونية وأهدافها حتى يتم حسم الصراع بالقوة. أما الذين يعتقدون، في المعسكر الصهيوني، بأنه سيكون بالإمكان عن طريق تبني "أهداف معتدلة" ومنح امتيازات اقتصادية، تخفيف حدة المعارضة الفلسطينية للصهيونية وأهدافها، فيرد عليهم جابوتنسكي في مقال له بعنوان "مائدة مستديرة مع العرب" قائلا: "... يوجد بيننا أفراد واهمون يتخيلون أن بالإمكان دغدغة عواطف عرب أرض إسرائيل بواسطة امتيازات اقتصادية... هذا الوهم نابع من نظرة استخفاف بلا حدود بالإنسان العربي." ويضيف موضحا: "هناك عرب قلائل يمكن شراؤهم، ولكن أحدا لن ينجح في إغراء شعب كامل على التخلي طوعا عن تطلعاته القومية مقابل امتيازات اقتصادية"[١٦].

إن السؤال المطروح على ضوء إقرار جابوتنسكي الواضح بوجود قومية فلسطينية متمايزة: لماذا يطرح، في سياق تطرقه لمسألة الحق على البلاد، مسألة الصراع على فلسطين على أنها صراع بين الشعب اليهودي والشعب العربي كله، وليس بين الحركة الصهيونية والشعب الفلسطيني؟ فواضح، من خلال مراجعة مجمل أدبياته حول الصراع، أن هناك تحويرا واعيا للمعطيات التاريخية ينبع من اعتبارات تكتيكية ومناورات دعائية. فالاعتبارات الأخلاقية التي شدد جابوتنسكي على محوريتها أمام لجنة بيل، هي سارية المفعول ما دامت تخدم المصالح الصهيونية، ولكن إذا ما حدث وتعارضت هذه الاعتبارات مع المصالح الصهيونية وشرعت تعمل لصالح الموقف الفلسطيني لا بأس من ضربها بعرض الحائط، واللجوء إلى تحريف معطيات الواقع والتاريخ أيضا. هذا التوجه الانتقائي في التعامل مع الاعتبارات الأخلاقية هو سمة تميز عامة الخطاب الصهيوني في تعامله مع الفلسطينيين: دور الاعتبارات الأخلاقية هو خدمة المصالح الصهيونية وليس كبح جماح ادعاءاتها و"شهيتها" إذا ما لجأنا إلى أحد التشبيهات المفضلة على جابوتنسكي. فتشويه الواقع وطرح مسألة الحق في فلسطين كصراع بين الشعب العربي والشعب اليهودي، وليس بين الشعب الفلسطيني والحركة الصهيونية، يهدف الى المحافظة على كسب تعاطف وتأييد الرأي العام العالمي، والغربي منه خاصة. فكفاءات جابوتنسكي في مجال الدعاية والإعلام، والتي اكتسبها كما يبدو خلال فترة عمله في ميدان الصحافة هي كفاءات مميزة[١٧]. وحصر حلقة الصراع مع شعب مستضعف يعيش على رقعة جغرافية محدودة سوف يشوه تلك الصورة الوضيعة التي رسمتها الصهيونية عن ذاتها كممثلة لجماعة مطاردة تبحث عن "حصة صغيرة" كي تتفادى خطر الموت جوعا. هذا الحصر سيلزمها أيضا بإعطاء تفسير مقنع قادر على شرعنة دفع الفلسطينيين الى ذات المصير الذي تطالب الحركة الصهيونية بإنقاذ اليهود منه، ألا وهو "خطر الموت جوعا". لتجاوز هذا الاشكال الذي يؤدي إلى انهيار الأساس الأخلاقي للمطلب الصهيوني، اختار جابوتنسكي بشكل واع تصوير الصراع زورا على أنه صراع مع الشعب العربي بأكمله، والذي "لديه أراض مترامية الأطراف وتزيد عن حاجته"[١٨]. فيشير في إحدى رسائله: "يبدو أن الادعاء الإحصائي "لدى العرب أراض تزيد عن حاجتهم" يترك أثرا إيجابيا على المستمعين المسيحيين هنا، واعتقد أنه يجب أن يكون له مثل هذا التأثير في إنكلترا أيضا"[١٩]. ويشير في مكان آخر إلى أنه يتعين على الحركة الصهيونية في طرحها لمسألة الحق على البلاد: ... "طرح هذا الأمر ليس كـ (مسألة) بين

مع أنه اعترف بتمايز الفلسطينيين القومي إلا إن جابوتنسكي رفض فكرة أية شراكة سياسية معهم في وطنهم. أضف إلى ذلك أنه تمسك بوحدة فلسطين التاريخية مع أن الدولة المستعمرة فصلت شرق الأردن عن غربه. فلقد تمسك طيلة حياته بفكرة "أرض إسرائيل" كاملة - غرب وشرق نهر الأردن - كوطن قومي خالص لليهود رافضا اية فكرة لتقاسمه مع أصحابه الأصليين. المثير للانتباه في مواقفه الثلاثة هذه - رفض الشراكة ورفض التقاسم والمطالبة بفلسطين التاريخية كوطن يهودي - هو تجاهله لمسوغ "المحنة الوجودية" واستبداله باعتبارات سياسية تاريخية في فحواها.

الشعب اليهودي وسكان أرض إسرائيل العرب، وإنما كمسألة بين الشعب اليهودي والشعب العربي"[٢٠]، وذلك حتى يكون ممكنا وسهلا توطيد مقولة "الشهية" مقابل "الموت جوعا" التي طرحها أمام لجنة بيل.

جابوتنسكي وانفتاح شهية الجغرافيا والسياسة

إن إحدى المفارقات البارزة في مواقف جابوتنسكي من القضية الفلسطينية هي التأرجح بين مستويين من الخطاب: الأول حول "خطر الموت جوعا" لتأسيس أخلاقية مطالب الصهيونية لوطن قومي لليهود، والثاني حول ما يمكن وسمه بمسوغات انفتاح الشهية الصهيونية جغرافيا وسياسيا. مع أنه اعترف بتمايز الفلسطينيين القومي إلا إن جابوتنسكي رفض فكرة أية شراكة سياسية معهم في وطنهم. أضف إلى ذلك أنه تمسك بوحدة فلسطين التاريخية مع أن الدولة المستعمرة فصلت شرق الأردن عن غربه. فلقد تمسك طيلة حياته بفكرة "أرض إسرائيل" كاملة - غرب وشرق نهر الأردن - كوطن قومي خالص لليهود رافضا اية فكرة لتقاسمه مع أصحابه الأصليين. المثير للانتباه في مواقفه الثلاثة هذه - رفض الشراكة ورفض التقاسم والمطالبة بفلسطين التاريخية كوطن يهودي - هو تجاهله لمسوغ "المحنة الوجودية" واستبداله باعتبارات سياسية تاريخية في فحواها. لقد طرح مسوغات مختلفة باستثناء تشبيه "الموت جوعا": المسوغ الأول هو الأمني الإستراتيجي، ويستند إلى الادعاء القائل بأن المنطقة المقترحة لقيام الدولة اليهودية بموجب مشروع التقسيم (لعام ١٩٣٧)، غير قابلة للدفاع عنها بصورة ناجعة، وإنها ستبقى دائما قابعة في "دونية إستراتيجية" مقارنة مع المنطقة المخصصة للدولة العربية (الفلسطينية)[٢١]. مسوغ آخر طرحه جابوتنسكي ضد تقسيم البلاد، أو ضد إقامة الدولة اليهودية على جزء من البلاد، يستند إلى مشكلة "النزعة الانفصالية لدى العرب". الدولة اليهودية المقترحة على جزء من البلاد فقط سوف تشمل ايضا أقلية عربية سترغب مستقبلا في الانضمام إلى الدولة العربية المجاورة الأمر الذي سيشكل خطرا على وجود الدولة اليهودية[٢٢]. المسوغ الثالث يستند إلى مسألة الهجرة اليهودية، ويدعي بموجبه أن المنطقة المخصصة للدولة اليهودية بناء على مشروع التقسيم، لا تكفي لاستيعاب هجرة يهودية كبيرة[٢٣]. وعليه فهو يعتقد أن دولة يهودية على جزء من أرض إسرائيل تعني عمليا ضربة مميتة للهجرة اليهودية وللمشروع الصهيوني بأكمله[٢٤]. المسوغ الرابع هو سياسي في جوهره ويقول إنه إذا ما نجحت الصهيونية في أن تأخذ من الفلسطينيين جزءا من وطنهم والذي يعتبر في نظرهم الأهم دينيا وسكانيا وتاريخيا فهناك إمكانية للاستيلاء على الجزء المتبقي من فلسطين التاريخية - أي ذلك الواقع شرق نهر الأردن. ففي شرق الأردن "تسكن مجموعة صغيرة فقط من البدو"، وأهميته للفلسطينيين أقل مقارنة مع الجزء الواقع غربي النهر[٢٥]. وعليه فالمعارضة الفلسطينية لمطالبتنا بشرق الأردن- إذا ما باشرنا حقا بالإلحاح على هذا المطلب- ستضعف بما لا يقاس مع المطلب الذي خبرناه في المعركة الحقيقية على غرب أرض إسرائيل"[٢٦]. بصيغة أخرى: المبرر لمطالبته بكل "أرض إسرائيل" يستند بالذات إلى ضعف الفلسطينيين وعدم قدرتهم على الوقوف امام المشروع الصهيوني. فقدرة الحركة الصهيونية على تحقيق الاستيلاء على كامل فلسطين هي المبرر للمطالبة بهذا الاستيلاء. المسوغ الاخير هو تاريخي ديني. يقول جابوتنسكي أن

طوابع بريدية لجابوتنسكي

للشعب اليهودي رابطة تاريخية بكامل أرض إسرائيل وأن هذه الرابطة لا تقتصر على جزء منها فقط. وبكون هذه الرابطة هي تجاه كامل البلاد فإن حقهم في السيادة ينسحب على "أرض إسرائيل بأكملها" وليس على جزء منها. وعلى سبيل المثال فقد تطرق في خطاب له في وارسو العام ١٩٣٨، إلى مسألة الرابطة التاريخية ووحدة البلاد بقوله "... في مقدمة (كتاب) الانتداب البريطاني على أرض إسرائيل جرى التأكيد على حقيقة وجود رابطة تاريخية بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل، وبإمكان المؤرخ الذي يرغب في معرفة ماهية هذه الرابطة أن يعود إلى كتاب التوراة"[٢٧]. وقد ذكر في الخطاب نفسه أماكن مختلفة في البلاد تقع خارج منطقة الدولة اليهودية المقترحة، مثل الخليل ونابلس وجلعاد، والتي لا يجوز لأحد – كما قال – التنازل عنها. وفي مكان آخر ذكر بالروحية ذاتها أن الحق التاريخي وليس وقائع الاستيطان، هو الذي دفع أمم العالم وشعوبه إلى الاعتراف بحق الشعب اليهودي على البلاد[٢٨].

جابوتنسكي واللامبالاة إزاء الحق الفلسطيني

بعد مناقشة موقفه وعرض مبرراته حيال مسألة الحق والسيادة على البلاد، تبرز للعيان عدم مبالاته تجاه سلب الفلسطينيين وطنهم وتجاهله لحقوقهم ولتطلعاتهم الوطنية. وترتبط هذه اللامبالاة بخلفية جابوتنسكي الثقافية والفكرية، والسياق الكولونيالي الغربي لنشأته الشخصية ونشأة وتطور الحركة الصهيونية عامة. لقد نشأ جابوتنسكي وتربى في عهد النظرية الإمبريالية والسياسة الاستعمارية، اللتين وسمتا نظرة الغرب إلى العالم غير الغربي. فهذه الفترة من التاريخ الأوروبي، اتسمت من جملة ما اتسمت به، ليس فقط باللاسامية الأوروبية التي أثرت على تطور وبلورة وجهة نظره (أي جابوتنسكي) الصهيونية في مسألة حل المشكلة اليهودية، وإنما أيضا بالمفاهيم الإمبريالية والكولونيالية والتي كان لها تأثير على موقفه ونظرته إلى الفلسطينيين والمجتمعات اللاغربية عامة.

إن السيطرة الأوروبية على بقاع خلف البحار وتسويغها الأيديولوجي والأخلاقي، يعكسان النظرة إلى الشرق البدائي والمجرد من أية غاية ورسالة ثقافية ذات بعد عالمي. في هذا المناخ من الاستعلاء "الثقافي" للغرب نشأ جابوتنسكي، وقيادات الحركة الصهيونية عامة، وتشكلت رؤيته للعالم غير الغربي، والشرق المتخلف بشكل خاص. في مقالاته: "الشرق" (١٩٢٦)، "السلام" (١٩٢٤)، "موضة الآرابسك" (١٩٢٧)، يوجد تعبير واضح عن موقفه الرافض للشرق وثقافته، والمشمئز منهما إلى جانب الايمان المطلق بالغرب وبتفوق رسالته الحضارية. ففي مقاله "موضة الآرابسك" يعتبر جابوتنسكي "الشرق" مستوى او مرحلة متخلفة في تاريخ الثقافة وليس نوعا من الثقافة. فجابوتنسكي ينتقد بشدة ذلك الفهم الذي يرى في "الشرق" نوعا من الثقافة في حد ذاته وأن له روحية ثقافية خاصة ومميزة. فخلافا للغرب الذي توجد له غاية ثقافية ورسالة عالمية، فإن "الشرق" لا يشكل ثقافة في حد ذاته ولا توجد له غاية أو رسالة عالمية شاملة، وإنما هو مرحلة بدائية من ثقافة الغرب. "إن جميع أشكال الحياة التي تميز اليوم الشرق... تنتمي ببساطة إلى درجة معينة في تطور جميع الشعوب. وما يسمى شرق بالمعنى الثقافي ما هو إلا عصور وسطى تأخر وصولها"[٢٩].

وفي مقال "الشرق" يجري جابوتنسكي نوعا من المقارنة بين الغرب المتقدم والشرق المتخلف. ففي مجال الدين على سبيل المثال، يدعي أنه وخلافا للغرب الذي تحرر من تأثير الدين، مما ساهم كثيرا في تقدمه العلمي والثقافي، فإن الشرق والشعوب الاسلامية خاصة، ما زالوا خاضعين للتأثير السلبي للدين والذي يعيق تطورهم: "الشرق يحترم جداً التأثير الحقيقي للآلهة، ويريد أن يراه في كل شيء.. في منظومة الشرائع والقوانين، في طابع البحث العلمي، في تمضية وقت أحمد وفاطمة، في الملابس، في المطبخ وما إلى ذلك"[٣٠]. ويضيف

والحال، إذا كان كل ما هو موجود في الشرق هو تخلف وقمع وفقر وبدائية، فإن تغييره أو هدمه لن يكون إذن عملا غير أخلاقي. من هنا لم ير جابوتنسكي على الإطلاق أي ظلم أو إجحاف في الكولونيالية الأوروبية، ذات الرسالة الحضارية، ولا في فرض ثقافتها الديناميكية المتطورة، على الشرق وشعوبه، وإنقاذهم بذلك من تخلفهم الثقافي. غير أن كل هذه هي حسب قوله "صفات عدم نضج" وبالتالي لا بد من معالجة هذا التخلف وعدم النضج بالثقافة [٣٣]. وفي مكان آخر يقول بالروحية ذاتها إن الكولونيالية الغربية تلعب دورا إيجابيا في الشرق من حيث أنها تساعد شعوب الشرق وتساهم في تطويرهم. ولذلك فهو يرى في تصفية الاستعمار لعنة وليس رحمة لهذه الشعوب.

موضحا: إن تأثير الدين في الحياة اليومية وكل مناحي حياة شعوب الشرق، وخاصة المسلمين، يشكل دليلا على تخلف هذه الشعوب وعلى أنها ما زالت تعيش في العصور الوسطى لأوروبا.

كذلك يتطرق جابوتنسكي، بنفس الروحية من الاشمئزاز، إلى الناحية السياسية مشيرا إلى أنه وخلافا لأوروبا التي أقامت برلمانات وكرست حريات الفرد وحرية التعبير فقد "بقي الشرق تحت سلطة استبدادية.. سلطة غير محدودة للشيخ على الفلاح، للأب على أبنائه، للزوج على زوجته"، وكل ذلك من دون أية بادرة احتجاج أو معارضة من جانب المقموعين. وبالمجمل يقول: خلافا لأوروبا التي "تبحث، وتجتهد، وتصحح، وتهدم، وتبني، وتقفز، ظل الشرق، طالما كانت أوروبا لا تدفعه ولا تستفزه أو تغضبه، يراوح في مكانه. ففي الشرق تسود فروق هائلة بين الأغنياء والفقراء، وينتشر الاستغلال، وهو أمر لم يسمع عنه الغرب منذ مائة عام، ومع ذلك لا وجود لحركة فقراء فاعلة ضد التوزيع غير العادل للموارد المادية، او احتجاج على شكل ضغط شعبي معين. قدرة الشعب الشرقي على الاكتفاء بالقليل هي تماما مثل عدم الرضا المبدئي الصارم لدى الطبقات المعدومة في أوروبا- الخط الأساسي للحياة العامة الأوروبية"[٣١]. فجميع هذه الصفات الشرقية لا تدل على وجود ثقافة قائمة بذاتها، وإنما تدل على تخلف وعدم نضج ثقافي، وهي تشير إلى "مرحلة متدنية للثقافة"[٣٢].

والحال، إذا كان كل ما هو موجود في الشرق هو تخلف وقمع وفقر وبدائية، فإن تغييره أو هدمه لن يكون إذن عملا غير أخلاقي. من هنا لم ير جابوتنسكي على الإطلاق أي ظلم أو إجحاف في الكولونيالية الأوروبية، ذات الرسالة الحضارية، ولا في فرض ثقافتها الديناميكية المتطورة، على الشرق وشعوبه، وإنقاذهم بذلك من تخلفهم الثقافي. غير أن كل هذه هي حسب قوله "صفات عدم نضج" وبالتالي لا بد من معالجة هذا التخلف وعدم النضج بالثقافة [٣٣]. وفي مكان آخر يقول بالروحية ذاتها إن الكولونيالية الغربية تلعب دورا إيجابيا في الشرق من حيث أنها تساعد شعوب الشرق وتساهم في تطويرهم. ولذلك فهو يرى في تصفية الاستعمار لعنة وليس رحمة لهذه الشعوب. ويقول في هذا السياق "يمكن كتابة مئات الصفحات التي تثبت أن الحكم الأوروبي أدى رسالة حضارية عظيمة في تلك البلدان وأن تصفيته ستتحول إلى لعنة وليس رحمة للعرب أنفسهم"[٣٤]. فجابوتنسكي على قناعه تامة بأنه لا يمكن للشرق، بقواه الذاتية، أن ينهض ويتطور ويتقدم من دون الاستعانة بالغرب المتقدم والمتحضر. نتيجة لهذا الفهم، وبحكم تماثله مع الاستعلاء الثقافي والتقني لدى الغرب، حمل جابوتنسكي بشدة على وجهة نظر استثنائية ترددت في هامش الحركة الصهيونية والقائلة بأن على الصهيونية أن تتبنى توجها "شرقيا" وأن تنأى بنفسها عن الغرب، نظرا لأن اليهود هم بالأساس شعب شرقي. ففي رده على هذا الطرح أنشأ يقول "ليس لدينا نحن اليهود أي شيء مشترك مع ما يسمى بـ(الشرق) والحمد لله"[٣٥]. وفي مكان آخر قال بالروحية ذاتها، ولكن مع التشديد أكثر على التباعد النفسي الروحاني والثقافي بين اليهود والشرق، إن "الشرق غريب بالنسبة إلي، وكذلك كل ما يرتبط بهذا المصطلح.. انا لا أفهم تقاليده ولا أفهم جماله.. أذني لا تستسيغ أنغامه، وأفكاره لا تثير اهتمامي، ولو قيض لي أن أزور قبيلة الأسكيمو في أقصى القطب الشمالي، لكنت قد شعرت بأنني واحد منهم أكثر مما هو هنا"[٣٦].

في المقابل يشير جابوتنسكي من جهة أخرى إلى البعد الأوروبي لديه ولدى اليهود بشكل عام، بقوله: "نحن اليهود ننتمي إلى الغرب... فأوروبا لنا، نحن من بين بُناتها وروادها الأوائل.. أكثر

الفكرة الكولونيالية: أول التجسيدات على الأرض الفلسطينية

من أي شعب آخر" ، ويضيف "يحق لنا أن نقول، إن الثقافة الغربية هي دم من دمنا، لحم من لحمنا وروح من روحنا. لذلك فإن الابتعاد عن (الثقافة الغربية) والاقتراب من (الشرق) يعني بالنسبة لنا التنكر لأنفسنا"[٣٧]. وبحسب وجهة نظره، فإن العودة إلى الشرق ليس لها، من ناحية اليهود، سوى مغزى جغرافيا، ولكن ليس مغزى ثقافيا وروحيا. ويقول "نحن ذاهبون إلى أرض إسرائيل" ، أولا من أجل راحتنا القومية، وثانيا كما قال [ماكس] نورداو (١٨٤٩- ١٩٢٣)، من أجل "توسيع حدود أوروبا حتى نهر الفرات"[٣٨]. هذه المهمة أو الرسالة الثقافية التي ينسبها جابوتنسكي إلى الصهيونية، بالاضافة إلى المهمة القومية، في نشر ثقافة الغرب وقيمه، تعني من ناحية عملية، حسب قوله "كنس وإزالة آثار الروح الشرقية بصورة جذرية من أرض إسرائيل"[٣٩]، أي تطهير البلاد من "شرقية" الشعب القاطن فيها، وتحويلها إلى بلد غربي عن طريق توطينها باليهود الأوروبيين، الذين سيجلبون معهم ثقافة الغرب وقيمه إلى الشرق. ولكن في عملية تحويل فلسطين إلى بلد غربي أوروبي بواسطة الصهيونية، لم يخف جابوتنسكي خشيته من أن الصهيونية ذاتها قد تتلوث في أثناء عملية كنس الروح الشرقية- الاسلامية التي تعاني من "انحطاط ثقافي واجتماعي". بمعنى أنه يخشى من أن البيئة الشرقية التي سيعيش فيها الصهيونيون ستؤثر على قيمهم وثقافتهم الغربية. لذلك فهو يحذر الصهيونيين ويحثهم على اتخاذ الوسائل والاحتياطات اللازمة كي لا يتأثروا بالبيئة الشرقية التي سيحاربون ضدها في أثناء عملية تحويل هذه البلاد إلى بلاد يهودية أوروبية، والتي سيعيشون فيها (أي البيئة الشرقية) بعد تحقيق هذا الهدف. ويقول في هذا الصدد: "خلال الفترة الانتقالية أو بعدها، سنضطر للعيش في أرض إسرائيل وسط بيئة مشبعة برائحة الشرق... نحن ننصح كل واحد منا، حين يسير مرتديا معطفا في الشوارع (الشرقية) الضيقة في إسطنبول، القاهرة أو القدس، أن يثني أطراف معطفه كي لا يغطيه الغبار بأي شكل كان، وأن ينظر جيداً في أي مكان عليه أن يضع قدمه فيه، ليس لأننا يهود، وحتى ليس لأننا من أوروبا، وإنما ببساطة لأننا أناس متحضرون"[٤٠].

فكيف يؤثر كل ذلك- استعلاؤه ومقته للشرق وثقافة شعوب الشرق من جهة، وتماثله التام مع أوروبا وثقافتها وقيمها من جهة أخرى- على موقفه تجاه مسألة حق السيادة على البلاد، وعلى نظرته للتطلعات الوطنية للشعب الفلسطيني؟. على ضوء عرض موقف جابوتنسكي تجاه الشرق والغرب، وتقديره الإيجابي للكولونيالية الأوروبية، نرى أن موقفه تجاه المسألة الفلسطينية يقتات، من ناحية فكرية، من مصدرين: المصدر الصهيوني- اليهودي، أي حق اليهود في وطن كي لا يبقوا أقلية ملاحقة ومضطهدة في كل مكان، وهو ما يشكل مصدر محنتهم القومية، والمصدر الصهيوني- الأوروبي، الذي يعبر عن نفسه في رؤية جابوتنسكي للصهيونية كجزء "من رسالة الغرب العالمية" ومن حركة استعماره الكولونيالي وتوسعه خارج حدود أوروبا. ويتجلى ذلك في شكل خاص في المقارنات الكثيرة التي يجريها جابوتنسكي بين الاستيطان اليهودي في فلسطين والاستيطان الأوروبي في أماكن وبقاع أخرى من العالم[٤١]. يفسر هذا الفهم للصهيونية عدم اكتراثه تجاه الثمن الذي يدفعه الفلسطينيون جراء المشروع الصهيوني. فقمع وإخضاع تطلعاتهم لا ينطوي على ظلم أو عدم أخلاقية، طالما أن الحديث يدور على تطلعات وحقوق تخص شعبا شرقيا ذا ثقافة متخلفة، وبالتالي عديمة القيمة مقارنة مع مطالب الحركة الصهيونية التي تسعى للتغيير والإعمار والتطوير. فالمسألة هي حق ثقافة معينة في مقابل حق ثقافة أخرى، وتفوق الحق اليهودي على البلاد ينبثق عن تفوق ثقافي بكونهم جزءا عضويا من أوروبا، تماما مثلما أن دونية الحق الفلسطيني في نظره تنبثق عن تأخر وتخلف الفلسطينيين ثقافيا واجتماعيا، بحسب منظوره.

البرنامج السياسي لإدارة الصراع مع الفلسطينيين

لقد اتسم موقف جابوتنسكي تجاه المسألة الفلسطينية بالثبات والانسجام بين الأيديولوجي والسياسي. ولكونه رجل معارضة فقد كان أقل تأثراً بالتناقضات بين المنطلقات الأيديولوجية وبين حدود الامكانيات السياسية في ظل قيود وضغوطات الواقع المحلي والدولي. بعبارة أخرى، بحكم كونه في المعارضة، لم تنشأ في موقفه من المسألة

على ضوء عرض موقف جابوتنسكي تجاه الشرق والغرب، وتقديره الإيجابي للكولونيالية الأوروبية، نرى أن موقفه تجاه المسألة الفلسطينية يقتات، من ناحية فكرية، من مصدرين: المصدر الصهيوني- اليهودي، أي حق اليهود في وطن كي لا يبقوا أقلية ملاحقة ومضطهدة في كل مكان، وهو ما يشكل مصدر محنتهم القومية، والمصدر الصهيوني- الأوروبي، الذي يعبر عن نفسه في رؤية جابوتنسكي للصهيونية كجزء "من رسالة الغرب العالمية" ومن حركة استعماره الكولونيالي وتوسعه خارج حدود أوروبا. ويتجلى ذلك في شكل خاص في المقارنات الكثيرة التي يجريها جابوتنسكي بين الاستيطان اليهودي في فلسطين والاستيطان الأوروبي في أماكن وبقاع أخرى من العالم [41].

الفلسطينية أية فجوة أو تضارب بين البعد الأيديولوجي المبدئي وبعد الممارسه السياسية العملية. يشير عالما الاجتماع الإسرائيليان دان هوروفيتس وموشيه ليسك في هذا الصدد الى أن " . . . الجهة الوحيدة في الييشوف [الاستيطان اليهودي في فلسطين] التي كان موقفها تجاه العلاقات بين اليهود والعرب موقفا حاسما لا لبس فيه، سواء على المستوى المبدئي أم على المستوى العملي، هم التصحيحيون الذين سعوا إلى حسم النزاع بشكل أحادي الجانب سواء عن طريق استخدام القوة أم من خلال الدعم البريطاني" [42]. هذا التشخيص صحيح ولكنه جزئي حيث أن الخلاف بين التيارات المختلفة المنضوية تحت سقف الصهيونية هي اختلافات حول التدرج في تحديد الأهداف وتحقيقها وفقا للإمكانيات السياسية وليس في المنطلقات الأيديولوجية المبدئية تجاه القضية الفلسطينية. يجب التذكر انه كلما زادت القدرات والإمكانيات المادية والعسكرية للحركة الصهيونية كلما اقتربت المواقف الرسمية، والعمالية خاصة، من تلك الأيديولوجية المنسوبة لجابوتنسكي والمعارضة اليمينية عامة. على كل حال سيتمحور هذا البند حول المنطلقات الأيديولوجية كما تمت صياغتها من قبل جابوتنسكي والذي يعتبر من أوضح منظري الحركة الصهيونية للصراع مع الفلسطينيين. التركيز هو على مبادئ برنامجه السياسي المتعلق بالمسألة الفلسطينية وعلى منطلقاته الفكرية- النظرية. إجرائيا يمكن تقسيم هذا البرنامج السياسي إلى شقين: الأول متعلق بفترة الصراع والذي سيحسم بالقوة العسكرية. الثاني يعالج الواقع السياسي ما بعد الحسم العسكري ومع التسليم الفلسطيني بالسيطرة الصهيونية. أي ما بعد إقامة الدولة اليهودية على ضفتي نهر الأردن ("أرض إسرائيل الكاملة") والتي سيشكل الفلسطينيون فيها أقلية قومية.

يقول جابوتنسكي في مقاله "الجدار الحديدي"، إن الصراع بين الفلسطينيين وبين الحركة الصهيونية، وبحكم كونه صراعا بين حركتين وطنيتين تتناقض أهدافهما بصورة مطلقة، هو صراع لا يمكن حله بالطرق السياسية، وذلك لعدم وجود أية إمكانية للتسوية والتنازل سواء من جانب الفلسطينيين أو من جانب الحركة الصهيونية. ويستند رفضه (أي جابوتنسكي) لأي مفاوضات أو إمكانية التوصل طوعا لاتفاق سياسي بين الطرفين، إلى وجهة نظره القائلة بأن العرب الفلسطينيين غير مستعدين لقبول أي اتفاق مع الحركة الصهيونية. وهو يسند هذا الاستنتاج إلى ما يراه بمنزلة حقيقة تاريخية مؤداها أن أية أمة أصلانية، وبمعزل تام عن مستواها الثقافي وعن ماهية موقف المستوطنين الأجانب، سترفض وتقاوم بكل قوة أية محاولة استيطانية غريبة في وطنها. فموقف هؤلاء المستوطنين، سواء أكان عدائيا شرسا أم معتدلا ولينا، ليس له تأثير وأهمية ملموسة بالنسبة لمقاومة السكان الأصليين.

ويشير جابوتنسكي في مقاله "الجدار الحديدي" قائلا: "يوجد لدى كل قارئ فكرة عامة حول طريقة الاستيطان التي جرت في بلدان أخرى، وأنا أقترح على هذا القارئ أن يتذكر جميع الأمثلة التي يعرفها، وأن يحاول العثور على مثال واحد، على الأقل، جرى فيه استيطان بلد ما بموافقة سكانه الأصليين. لا توجد حالة كهذه، فالسكان الأصليون (سواء أكانوا متحضرين أم متخلفين) قاوموا المستوطنين دائما بصلابة وعناد. وسواء أكان سلوك المستوطن متزنا أم فظا فإن الأمر ليس له أي تأثير. . فالأصلاني يقاتل بشراسة ضد جميع أنواع المستوطنين، الفظ والمعتدل على حد سواء" [43]. بكلمات أخرى: ان إصرار السكان الأصليين في مقاومتهم لأية محاولة استيطانية من قبل جماعة أجنبية، ليست له أية صلة بنظرة هذه الجماعة وموقفها، وإنما هو شيء راسخ في حقيقة أساسية

يقول جابوتنسكي في مقاله "الجدار الحديدي"، إن الصراع بين الفلسطينيين وبين الحركة الصهيونية، وبحكم كونه صراعا بين حركتين وطنيتين تتناقض أهدافهما بصورة مطلقة، هو صراع لا يمكن حله بالطرق السياسية، وذلك لعدم وجود أية إمكانية للتسوية والتنازل سواء من جانب الفلسطينيين أو من جانب الحركة الصهيونية. ويستند رفضه (أي جابوتنسكي) لأي مفاوضات أو إمكانية التوصل طوعا لاتفاق سياسي بين الطرفين، إلى وجهة نظره القائلة بأن العرب الفلسطينيين غير مستعدين لقبول أي اتفاق مع الحركة الصهيونية.

بسيطة: " . . . إن أي أصلاني في أي مكان وزمان لا يمكن له أن يقبل باستيطان أجنبي" . فكل أمة أصلانية ترى في وطنها "بيتها القومي" الذي "تريد أن تعيش وتبقى فيه إلى الأبد. . وهي لن تقبل طوعاً بأسياد جدد أو حتى شركاء جدد في إدارة شؤون هذا البيت"[٤٤]. الفهم التاريخي هذا لعلاقة الأصلاني والمستوطن، ينطبق على السياق الفلسطيني- الصهيوني. فالفلسطينيون كجماعة "أصلانية" ليسوا شاذين وبالتالي فإن مقاومتهم للمستوطن اليهودي – الصهيوني لن تكون أقل ضراوة وعناداً، وذلك لأنهم ينظرون إلى وطنهم كما يقول جابوتنسكي "على الأقل بنفس الحب الفطري وبنفس التعصب العضوي، الذي نظرت فيه قبائل الآزتيك (شعب المكسيك الأصلي) إلى المكسيك"[٤٥]، وعليه، فإنهم بحكم هذا الحب وهذا التعصب، لن يقبلوا أية محاولة استيطان أجنبية في وطنهم، ولن يوافقوا بإرادتهم الحرة على التنازل عن سيادتهم على هذا الوطن لاحلال سيادة يهودية صهيونية بديلة، عليه أو حتى على جزء منه. من هنا استنتاجه القائل بأنه لا يمكن لمحاولات رشو بعض الفلسطينيين أو تمويه أهداف الصهيونية أو إظهارها بمظهر معتدل أن تؤثر قيد أنملة على مقاومة الفلسطينيين. يقول جابوتنسكي في هذا السياق: "منشوراتنا الداعية للسلام تحاول إقناعنا بأن العرب قبيلة يمكن شراؤها وجعلها تتنازل عن حق الأقدمية في أرض إسرائيل مقابل امتيازات ثقافية واقتصادية. مثل هذا الفهم للعقلية العربية في أرض إسرائيل مرفوض كليا لدي"[٤٦]. رفض جابوتنسكي لهذا الادعاء الذي تردد في بعض الحلقات داخل الحركة الصهيونية، والقائل بأن معارضة الفلسطينيين نابعة في جوهرها من سوء فهم لأهداف الصهيونية، وأنه يمكن عن طريق الدعاية، أو عن طريق الرشوة والتمويه، تخفيف حدة معارضتهم ولربما أيضا الحصول على موافقتهم للمشروع الصهيوني، هذا الرفض يستند إلى إقراره بالعامل القومي الذي يقف وراء المعارضة والمقاومة الفلسطينية. ومما لا شك فيه أنه (أي جابوتنسكي) كان من بين أوائل الصهيونيين الذين شخصوا الدافع القومي وراء هذه المقاومة للصهيونية ولأهدافها، ومن هنا فهو يرد على هذه الادعاءات بقوله: "إن هذا الوهم الصبياني ينبع من نوع من الشعور بالازدراء تجاه الشعب العربي. يبدو وفقا لرأي "محبي العرب" لدينا بأن العرق العربي ليس سوى أناس جشعين، مستعدين لبيع التزامهم الوطني مقابل شبكة سكة حديد متطورة". ويمضي في نقده قائلا: "يمكن بالتأكيد رشوة قلة من العرب، لكن ذلك لا يعني أن عرب أرض إسرائيل بمجملهم مستعدون لبيع وطنيتهم أو التخلي عنه"[٤٧].

ولكي يدعم رأيه هذا، يستند جابوتنسكي إلى جريدة "الكرمل" الفلسطينية، مشيراً إلى أن الفلسطينيين يدركون فعلا أن الصهيونيين لا ينوون في تلك المرحلة طردهم وقمعهم أو إخضاعهم لسلطتهم، نظرا لأنهم (أي الصهيونيون) لم يحشدوا بعد القوة الكافية، لكن هذا الوضع سيتغير بفضل الهجرة اليهودية التي ستحول اليهود إلى أغلبية، ولهذا السبب يدرك الفلسطينيون أن المعركة الفاصلة ستدور في الأساس حول موضوع الهجرة. ويضيف "هذا فقط ما يريده الصهيونيون ويسعون إليه وهو بالضبط ما لا يريده العرب لأن اليهود سيتحولون بهذه الطريقة رويداً رويداً إلى أغلبية، وحينئذٍ ستقوم تلقائيا حكومة يهودية، وسيكون مصير الأقلية العربية تحت رحمة اليهود، وقد سمعوا حول معنى أن يكونوا أقلية أمورا وردت بالذات على لسان اليهود أنفسهم لذلك لا يوجد هنا سوء فهم. فالصهيونيون يريدون شيئا واحداً، ألا وهو حرية الهجرة، والعرب لا يريدون مثل هذه الهجرة اليهودية"[٤٨].

كذلك رفض جابوتنسكي، استناداً للمبرر نفسه، الرأي الداعي إلى القفز عن عرب فلسطين ومحاولة التوصل إلى اتفاق مع القيادات

العربية في الدول المجاورة، وقد افترض أصحاب هذا التوجه، الذي تبناه بشكل خاص حاييم وايزمان، أنه لا بد في ضوء عدم إمكانية الاتفاق مع الفلسطينيين، من محاولة التوصل إلى تفاهم واتفاق مع عرب الدول المجاورة، والذين سيؤثرون بدورهم على موقف الفلسطينيين لجهة تليين وتخفيف حدة معارضتهم للاستيطان الصهيوني وللصهيونية بشكل عام. يقول جابوتنسكي، كما ذكر سابقا في البحث، في سياق تعليقه على هذا التوجه: "... لو كان من الممكن (وأنا أشك في ذلك) إقناع عرب بغداد ومكة بأن أرض إسرائيل ليست لهم، وإنما منطقة نائية صغيرة وغير مهمة، فإن أرض إسرائيل ستبقى، حتى في مثل هذه الحالة، بالنسبة لعرب أرض إسرائيل، ليس بمثابة (أرض نائية) وإنما بالذات مسقط رأسهم ووطنهم ومركز وجودهم الذاتي"[٤٩].

إن إقرار جابوتنسكي بالهوية القومية المتمايزة للفلسطينيين يشكل بالذات مصدر فرضيته بأن الصراع بين الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الصهيونية هو صراع غير قابل للحل أو التسوية بطرق سياسية، لأن التناقض، حسب وجهة نظره، بين التطلعات والاهداف القومية لكلا الحركتين هو تناقض مطلق. وبما أن الاتفاق السياسي مع الفلسطينيين ضرب من المستحيل، فإنه (أي جابوتنسكي) يلمز أولئك الصهيونيين الذين يؤمنون بإمكانية التوصل إلى مثل هذا الاتفاق، أو يرهنون تحقيق الاهداف الصهيونية بهكذا إتفاق، باستخلاص العبر و"الخروج" من الصهيونية: "باستطاعة هؤلاء الذين يعتبرون الاتفاق مع العرب شرطا لا مفر منه للصهيونية، أن يقولوا الآن: لا، وأن ينسحبوا من الصهيونية". لكن الاستنتاج بالنسبة له يقضي بوجوب الاستمرار في الاستيطان الصهيوني وتجسيد أهداف الصهيونية من دون أن يكون ذلك مرهونا برغبة الفلسطينيين ومقاومتهم: "بإمكان الحركة الصهيونية أن تواصل النمو والتطور برعاية قوة غير مرهونة بمزاج السكان المحليين، وذلك خلف "جدار حديدي" لا يستطيع أولئك السكان اختراقه". ففي هذا الموقف تتلخص في نظره مجمل السياسة الصهيونية تجاه المسألة العربية "سواء اعترفنا بذلك أم لم نعترف"، على حد قول جابوتنسكي[٥٠].

تلك هي مبادئ سياسته التي يقترح على الزعامة الصهيونية انتهاجها حيال المسألة الفلسطينية. هذا الاستنتاج السياسي ينبع في الواقع من إقراره بوجود مستحيلين: الأول هو استحالة التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين يسلمون بموجبه بالصهيونية ويتنازلون في مسائل قومية

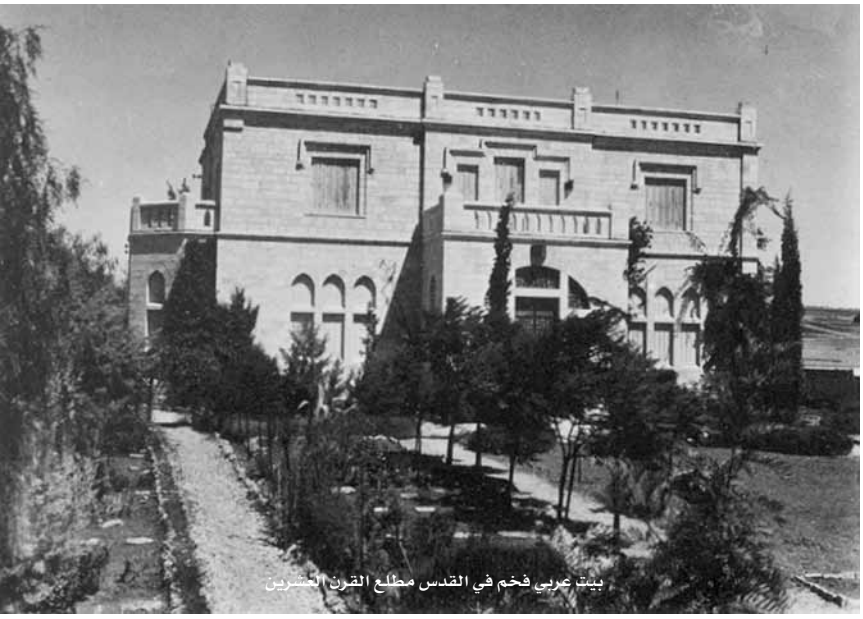
بيت عربي فخم في القدس مطلع القرن العشرين

مصيرية. تنازل كهذا ممكن فقط "عندما لا يكون هناك أي أمل في "التخلص" (من الصهيونية) ولا تكون هناك أية ثغرة أو منفذ في الجدار الحديدي"[٥١]. أما المستحيل الثاني فهو تنازل الصهيونية عن الحل القومي للمعضلة اليهودية، وعليه فهذا الواقع يؤدي به إلى الاستنتاج بعدم وجود أية جدوى لأية محاولة لإجراء مفاوضات سياسية، وأنه يتعين على الصهيونية المضي قدما في تحقيق أهدافها على الرغم من المقاومة الفلسطينية. من الصعب الاستئناف على تشخيص جابوتنسكي القائل بأن الفلسطينيين لن يساوموا على حقوقهم الوطنية وبأنهم مستمرون في مقاومة الصهيونية وأهدافها طالما سمحت لهم قدراتهم على ذلك. هذا أمر طبيعي حتى من وجهة نظر جابوتنسكي نفسه. المفارقة هي في موقف جابوتنسكي الرافض لأية مشاركة سياسية في وطن لا يملكه وما زال اليهود يشكلون فيه أقلية بالمقارنة مع الفلسطينيين، أبنائه الأصليين.

تجدر الإشارة إلى أن جابوتنسكي أكد في سياقات عديدة أنه طالما لا تتوفر أغلبية يهودية في البلاد على جانبي نهر الأردن، فإنه ما من جدوى في التوصل إلى اتفاق بالنسبة للحركة الصهيونية. فأي إتفاق مع الفلسطينيين قبل تحقيق الأهداف الصهيونية الديمغرافية والإقليمية والسيادية سيكون حتما سلبيا وضارا بالحركة الصهيونية. فقد أشار في إحدى مناقشاته مع شخصيات من بريت شالوم (تحالف السلام) قائلا: "نحن أيضا كنا سنؤيد بسرور اتفاقا مع العرب، ولكننا لسنا مستعدين لدفع الثمن المترتب عليه، ... فاتفاق كهذا هو شيء غير قابل للتنفيذ [من وجهة نظر صهيونية]"[٥٢]. وفي مكان آخر يقول

تجدر الإشارة إلى أن جابوتنسكي أكد في سياقات عديدة أنه طالما لا تتوفر أغلبية يهودية في البلاد على جانبي نهر الأردن، فإنه ما من جدوى في التوصل إلى اتفاق بالنسبة للحركة الصهيونية. فأي إتفاق مع الفلسطينيين قبل تحقيق الأهداف الصهيونية الديمغرافية والإقليمية والسيادية سيكون حتما سلبيا وضارا بالحركة الصهيونية. فقد أشار في إحدى مناقشاته مع شخصيات من بريت شالوم (تحالف السلام) قائلا: "نحن أيضا كنا سنؤيد بسرور اتفاقا مع العرب، ولكننا لسنا مستعدين لدفع الثمن المترتب عليه،... فاتفاق كهذا هو شيء غير قابل للتنفيذ

إن الحركة الصهيونية قادرة على تحقيق أهدافها النهائية بأكملها عن طريق الحسم العسكري، وليس بالطرق السياسية التي ستتطلب منها المساومة على أهدافها. لذلك وحتى تتمكن الصهيونية من تحقيق برنامجها، فإنه ينصحها بعدم السير في سكة الطريق السياسي، الذي سيلزمها بتقديم تنازلات والقبول بتسويات: " . . . ليس هناك من سبب يدعونا للترجل عن الحصان، والتسوية ليست فقط عديمة الجدوى وإنما هي شيء نافل لا لزوم له "[٥٣].

من هنا فهو يرى في أي اتفاق يكون مغزاه التوصل إلى حل وسط بين مطالب الطرفين، أمراً لا يخدم مصلحة الصهيونية، بل على العكس: سوف يقوض هذه المصلحة. فإذا كان مطلبه من الفلسطينيين هو التسليم الكامل بسلب وطنهم وتحويله وطنا خالصا لليهود، فإن الطريقة الملائمة والفعالة لتحقيق هذا الهدف هي بواسطة الحسم العسكري، فنوعية الهدف تملي عمليا طرق تحقيقه.

يطرح جابوتنسكي على ضوء هذا التشخيص برنامجا لإدارة الصراع مع الحركة الوطنية الفلسطينية حتى تستطيع الصهيونية توطيد نفسها في فلسطين وتحقيق أهدافها:

أولا، يجب على "الييشوف" اليهودي انتهاج سياسة انعزال عن الفلسطينيين إلى أن تتحقق الأغلبية اليهودية. فتحقيق الأغلبية اليهودية هو جوهر الصهيونية. وبحسب رؤيته، والرؤية الصهيونية بشكل عام، فإن معضلة اليهود تتمثل في حقيقة أنهم يشكلون، حيثما كانوا، أقلية فقط[٥٤]. فالصهيونية لم تقم من أجل خلق أقلية يهودية أخرى أو منفى آخر في فلسطين، بل إن جوهر وجودها يقوم على جعل اليهود أغلبية. وعدم تحقيق هذا الهدف يعني نهاية الصهيونية على أطيافها المختلفة وذلك "لأن اليهود سيذوبون في نهاية المطاف، من ناحية قومية وثقافية، داخل العرب على الرغم من أن ثقافة هؤلاء العرب ثقافة فقيرة وغير متطورة"[٥٥]. فهو يرى في انتشار الثقافة العربية بين اليهود (السفارديم) الشرقيين من "الييشوف القديم" مثالا حيا على مصير "الييشوف" اليهودي الصهيوني إذا ما تحول اليهود إلى أغلبية[٥٦]. فالقيم الثقافية والتوجهات الأيديولوجية "لا يمكن أن تستمر وتصمد إلا إذا كان الشعب الذي يحمل هذه الثقافة يشكل أغلبية عددية في البلاد"[٥٧،٥٨،٥٩].

ثانيا، انتهاج سياسة علنية الأهداف النهائية للصهيونية. إن محور الخلاف بين جابوتنسكي وبين زعامة المعسكر المركزي في الصهيونية لم يكن على أهداف الصهيونية المتمثلة في تحقيق الأغلبية اليهودية وإنشاء دولة ذات سيادة وإنما على جدوى الإعلان سلفا عن هذه الأهداف. ف "المعسكر العمالي" في الحركة الصهيونية رأى في الإعلان عن الأهداف النهائية، قبل نضوج الظروف الديمغرافية والساسية، أمراً من شأنه أن يعزز من مقاومة الفلسطينيين للصهيونية ويضر بالتالي بمصالحها[٦٠]. وعليه، فقد فضل العماليون، من جهتهم، انتهاج إستراتيجيا خلق وقائع على الأرض وتحقيق البرنامج والأهداف الصهيونية من دون الإعلان مسبقا عنها، طالما كانت الظروف غير مؤاتية بعد. في المقابل رأى جابوتنسكي في هذا التوجه القائم على "تمويه" أهداف الصهيونية واحتلال البلاد بهدوء من دون إثارة معارضة الفلسطينيين، توجها غير واقعي وغير ممكن، وبأنه يضر عمليا بالحركة الصهيونية ذاتها. في مقاله "روف" (أغلبية) كتب قائلا: "إن وهم إحتلال البلاد خفية- بشكل غير معلن- لهو بطبيعة الحال أمر مغر. . " ولكن "هذا الأمر في ظروف الحياة اليهودية ضرب من المستحيل. ولذلك فإن كل النصائح بشأن جدوى البناء بصمت وهدوء ما هي إلا هراء فارغ وسخيف. فالحركة القومية اليهودية تحتاج للرجال والمال، وهذان العاملان لا يمكن تجنيدهم الا بواسطة إلهاب وتفعيل حماس الأفراد والجماهير. هذا التفعيل الحماسي يسمى دعاية، والدعاية لا يمكن أن تكون صامتة"[٦١]. فانتهاج

وعليه، يضيف جابوتنسكي قائلا: "إن جميع العرب، المتعلمين والجهلة على حد سواء، يرون في جميع محاولاتنا لتمويه الهدف النهائي للصهيونية محاولة واضحة لخداعهم"[٦٤]، ومن هنا استنتاج جابوتنسكي بأنه ما من جدوى أو فائدة من عدم المجاهرة بالأهداف النهائية للصهيونية. فهذه الأهداف لا يمكن إخفاؤها لأن الصهيونية تضمر داخلها حقيقة أهدافها. إضافة إلى ذلك فهو يرى أن نهج عدم تحديد الأهداف النهائية وإعلانها مضر بالصهيونية من ناحية سياسية، حيث أن الصمت في هذا الشأن يعطي فرصة وذريعة لمعارضي الحل الصهيوني للادعاء بأنه إذا كان الصهيونيون لا يهدفون إلى خلق أغلبية يهودية أو دولة يهودية، فإنه لا داعي إذن لإثارة استعداء العرب والتسبب بالتالي بتصعيد مقاومتهم عن طريق السماح بهجرة يهودية جماعية لا حاجة لأحد بها، بما في ذلك الحركة الصهيونية وزعامتها.

سياسة "الصمت" و"الخفية" سوف "تقضي على الروح الحماسية للصهيونية وتحد من إمكانية تجنيد الجماهير والوسائل اللازمة" لإقامة الوطن القومي في فلسطين[٦٢].

وفيما يتعلق بالادعاء الذي طرح في حينه والقائل بأن الإعلان عن الأهداف النهائية من شأنه فقط أن يعزز المعارضة الفلسطينية، الأمر الذي سيصعب تحقيق الهدف ذاته، يرد جابوتنسكي: "هذه الأيديولوجيا وكل التكتيكات المستندة إليها هي أمثلة على صبيانية لا نظير لها. إنها أيديولوجيا عديمة الجدوى" وذلك "لأننا لن ننجح في خداع العرب أو غيرهم"[٦٣]. "فكل فلاح وإن كان أميا لا يفقه حتى ما معنى مصطلحات الأغلبية والأقلية، يدرك مع ذلك تماما حقيقة ما يتطلع إليه اليهود. وهو (أي الفلاح – الفلسطيني) يعبر عن ذلك بكلمات بسيطة: هم يريدون أن يصبحوا رويدا رويداً أقوى منا في أرض إسرائيل"... وفيما يتعلق بالفلسطينيين الذين يجيدون القراءة فقد سمعوا ليس فقط عن "أغلبية" و"أقلية" وإنما أيضا عن [كتاب بنيامين زئيف هرتسل (١٨٦٠– ١٩٠٤)]: "دولة اليهود". وعليه، يضيف جابوتنسكي قائلا: "إن جميع العرب، المتعلمين والجهلة على حد سواء، يرون في جميع محاولاتنا لتمويه الهدف النهائي للصهيونية محاولة واضحة لخداعهم"[٦٤]، ومن هنا استنتاج جابوتنسكي بأنه ما من جدوى أو فائدة من عدم المجاهرة بالأهداف النهائية للصهيونية. فهذه الأهداف لا يمكن إخفاؤها لأن الصهيونية تضمر داخلها حقيقة أهدافها. إضافة إلى ذلك فهو يرى أن نهج عدم تحديد الأهداف النهائية وإعلانها مضر بالصهيونية من ناحية سياسية، حيث أن الصمت في هذا الشأن يعطي فرصة وذريعة لمعارضي الحل الصهيوني للادعاء بأنه إذا كان الصهيونيون لا يهدفون إلى خلق أغلبية يهودية أو دولة يهودية، فإنه لا داعي إذن لإثارة استعداء العرب والتسبب بالتالي بتصعيد مقاومتهم عن طريق السماح بهجرة يهودية جماعية لا حاجة لأحد بها، بما في ذلك الحركة الصهيونية وزعامتها. وبعبارة أخرى فإن من شأن عدم المجاهرة بالهدف الصهيوني أن يؤدي فقط إلى إضفاء الغموض على هذا الهدف كما أنه سيعطي مبرراً لحكومة الانتداب للاستجابة إلى المطلب الفلسطيني– الواضح والمحدد– بالاستقلال ووقف الهجرة (اليهودية)، وكل ذلك استناداً لحقيقة أن الحركة الصهيونية ذاتها لا تطرح هذه القضايا كمطلب سياسي. فالمغزى العملي لمثل هذا الأمر سيكون تصفية الصهيونية السياسية. البديل هو: الاعلان عن هدف تحقيق الأغلبية اليهودية والذي يشكل المبرر الوحيد للهجرة العبرية الجماعية[٦٥].

ثالثا بناء "الجدار الحديدي" الذي يعني القوة العسكرية اليهودية الرسمية لحماية "البيشوف" اليهودي من المقاومة الفلسطينية. فالصراع بين الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الصهيونية حسب تشخيصات جابوتنسكي كما أسلفنا، هو صراع مطلق، وفقط بواسطة القوة العسكرية/ الجدار الحديدي يمكن كسر شوكة المقاومة الفلسطينية الرامية إلى منع تحويل فلسطين إلى وطن يهودي مع أغلبية يهودية. يقول جابوتنسكي: "نحن نقوم باستيطان البلاد خلافا لإرادة السكان المحليين.. هؤلاء السكان الأصليون يتفوقون علينا الآن عدداً بنحو ثمانية أضعاف، وعليه لا يمكن للاستيطان أن يتطور إلا تحت حراسة قوات مسلحة، تماما مثلما تطورت كل أشكال الاستيطان الأخرى عبر التاريخ"[٦٦]. من هنا لا مفر من إقامة قوة يهودية لتمكين "البيشوف" اليهودي من التوسع وتحقيق الأهداف الصهيونية. فاعتماد الاستيطان الصهيوني من ناحية أمنية على الجنود البريطانيين، سيعزز من تبعيته الأمنية والسياسية لبريطانيا. كما أن

"سوروبرج": النموذج الانعزالي المبكر

الحماية الأمنية التي تعتمد بصورة مطلقة على عناصر غير يهودية هي حماية مشروطة وموضع شك كبير من منظور جابوتنسكي[٦٧]، وذلك لانعدام عنصر الدافعية لدى الجندي- البريطاني- في استمرار دفاعه عن "مشروع غريب عنه وربما عن مصالحه"[٦٨]. هذا الوضع، المعروف للفلسطينيين، سيشجعهم على مهاجمة "اليشوف" اليهودي. يقول جابوتنسكي في هذا السياق "إن مزاج الجيش معروف للعرب أيضا، ولذلك هناك قناعة راسخة لديهم بأنهم إذا تجنبوا فقط إيقاع الأذى بالإنكليز فإن اعتداءاتهم على اليهود لن تواجه أية معارضة جادة"[٦٩]. من هنا فإن عدم وجود قوة عسكرية يهودية من شأنه فقط أن يشجع الهجمات على "اليشوف" اليهودي، الأمر الذي سيزعزع ثقة المستوطنين وأمنهم من جهة ويعزز ثقة وإيمان الفلسطينيين بامكانية إحباط أهداف الصهيونية، من جهة أخرى.

من ناحية سياسية فإنه إذا ما واصلت إنكلترا، كما يقول جابوتنسكي، دفع ثمن تجسيد الصهيونية، بالرجال والمال، فإن ذلك سيخلق رأيا عاما بريطانيا معاديا، مما سيؤثر مع مرور الوقت سلبا على السياسة البريطانية تجاه المشروع الصهيوني برمته[٧٠]. كذلك فإن وضعية "يهود تحت الحماية" ستؤدي أيضا إلى جعل إنكلترا تكف عن اعتبار تحالفها مع الصهيونية مجديا وذلك بسبب الثمن الباهظ الذي تدفعه من أجل أهداف هذه الأخيرة الاستيطانية[٧١]. من هنا يأتي استنتاجه بأنه ومن أجل ردع الفلسطينيين من جهة، وعدم خسارة التحالف مع إنكلترا من جهة أخرى، لا بد من إنشاء قوة عسكرية يهودية تتحمل الأعباء الأمنية لتجسيد الأهداف الصهيونية. هذه القوة العسكرية، على الرغم من أهميتها، يجب أن تكون جزءا من الإطار البريطاني الذي سيمدها بالقدرات اللازمة للقيام بدورها ومهامها:

"أنا أدرك جيدا أن قدرة الحامية لا تكمن في هذه القوة ذاتها، وإنما في قوة وجبروت تلك الدولة التي تقف خلفها، وعليه فإنني لا أؤيد في هذا الأوان إنشاء جيش قومي يهودي حتى لو كان ذلك أمرا ممكنا من ناحية سياسية.. غير أننا نحتاج إلى تجديد كتائبنا بنفس الشكل الذي كانت عليه بين العام ١٩١٧ و١٩٢١. فقد كانت هذه الكتائب جزءا من الجيش البريطاني وارتدت بزات بريطانية، غير أن المادة البشرية تحت هذه البزات البريطانية كانت مادة يهودية وهذا هو المهم هنا"[٧٢].

إن الإطار البريطاني يلعب دورا مركزيا في نظرية جابوتنسكي السياسية والعسكرية. لقد كان على قناعة تامة باستحالة تحقيق المشروع الصهيوني خارج إطار التحالف مع بريطانيا. فالمشروع الصهيوني مرتبط برباط مصيري بإنكلترا وبرغبتها في مساندته وتقديم العون والمساعدة له[٧٣]. لقد رأى جابوتنسكي أن التحالف بين الحركة الصهيونية وبين إنكلترا مسألة مضمونة ودائمة ليس فقط بسبب إيمانه بـ "جنتلمانية" واستقامة بلاد وشعب الإنكليز- رغم أنه كان لذلك دور مهم في رؤيته- وإنما وبالأساس انطلاقا من اعتبارات "سياسة واقعية" والتي تتجلى في إقراره بالتناقضات وتصادم المصالح بين الشرق والغرب. وقد اعتقد أن مقاومة شعوب الشرق ومن ضمنها الشعوب العربية للكولونيالية الغربية ستدفع أوروبا وإنكلترا بشكل خاص، لاعتبارات سياسية وإستراتيجية منطقية، إلى الامتناع عن دعم ومساندة الفلسطينيين - الذين يحاربون الاستعمار البريطاني والمشروع الاستيطاني الصهيوني على حد سواء. فالتحالف بين الصهيونية وإنكلترا يستند إلى تماثل المصالح بين الطرفين وهو ضرورة موضوعية مفروضة عليهما نتيجة لوجود عدو خارجي مشترك. فالصهيونية في هذا السياق تعتبر، من وجهة نظر جابوتنسكي،

ثمة نقطة أخرى لها علاقة بموقف جابوتنسكي تجاه مسألة القوة العسكرية اليهودية وأهميتها ومركزيتها في تحقيق أهداف الصهيونية وفي الصراع ضد العرب في البلاد، وتجد هذه النقطة تعبيرا لها في فهمه لمسألة وتيرة الزمن. فعامل الزمن، حسب رؤيته[٧٨]، لا يعمل في صالح الحركة الصهيونية، معتبرا أن الزمن المتاح للحركة من أجل تحقيق أهدافها هو زمن محدود وذلك بالأساس بسبب تنامي قوة الحركة الوطنية الفلسطينية في العشرينيات والثلاثينيات، وبسبب مشكلة الميزان الديمغرافي الذي يميل بشكل حاسم في صالح العرب، مما يجعل من الصعب، لا سيما في غياب هجرة جماعية، تحقيق أغلبية يهودية في البلاد.

ذراعا لأوروبا وإنكلترا بشكل خاص، وهي الجهة الوحيدة التي يمكن أن تكون حليفا مخلصا ودائما لهم في المنطقة[٧٤]. في مقاله "ما حاجة الصهيونيين للتنقيحيين" والذي نشره في العام ١٩٢٨، كتب جابوتنسكي قائلا: "ليس صحيحا أن إنكلترا تصنع معروفا لنا من دون أن تجني أية فائدة من ذلك. فبمساعدتنا جنت إنكلترا فوائد جمة، وسوف تحقق المزيد من الفوائد والمكاسب في المستقبل أيضا. ومن بين كل بلدان الاستيطان التابعة للدول الأوروبية الكبرى هناك اليوم بلد واحد فقط يتطور وينمو بوتيرة سريعة لا نظير لها.. وهذا البلد هو أرض إسرائيل. ثمة دول كبرى قوية في غرب أوروبا وشرقها تعبر علنا عن غيظها وغيرتها من "شراكة" إنكلترا مع الصهيونيين. إن الرأي العام البريطاني والحكومة البريطانية يدركان ذلك جيداً، على الرغم من محاولة الدبلوماسيين التغاضي عن هذه الحقيقة، أو محاولة الذين يكنون الكراهية لنا التنكر لها. علاوة على ذلك، في منطقة حوض البحر المتوسط- ممر إنكلترا إلى الشرق- حيث يخيم على السواحل الشرقية والجنوبية خطر اتجاهات مناوئة لأوروبا، يقوم اليهود ببناء نقطة الارتكاز الوحيدة، التي تنتمي من ناحية أخلاقية إلى أوروبا، وستظل دوما منتمية لها"[٧٥]. هناك مصلحة حيوية لكلا الطرفين في الشراكة بينهما، والدعم البريطاني مضمون، حسب رأيه، بسبب الفائدة التي تجنيها إنكلترا من تحالفها مع الصهيونية، ولذلك إذا أخلت إنكلترا بهذا التحالف عبر المس بالمصالح الصهيونية، فإنها إنما ستمس بذلك أيضا بمصالحها هي، وهو أمر غير محتمل من ناحية منطقية.

مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن جابوتنسكي، ورغم قناعته بتماثل مصالح الجانبين وأن الصهيونية هي الحليف الوحيد لإنكلترا في المنطقة، كان يعي عدم التماثل، أو التناسب، في مكانة الشريكين. ويتجلى ذلك في رؤية جابوتنسكي لتحالف الصهيونية مع إنكلترا كشيء تمليه عوامل واعتبارات خارجية موضوعية، والتي تعكس ضعف الحركة الصهيونية وليس بالذات قوتها كحليف. وهذه العوامل والاعتبارات تجد تعبيرا لها في ضعف "البيشوف" الذي لا يستطيع في ظل الظروف القائمة الصمود أمام المقاومة العربية[٧٦]، وكذلك في ظل غياب بديل أفضل بالنسبة للصهيونية، عدا عن إنكلترا[٧٧].

ثمة نقطة أخرى لها علاقة بموقف جابوتنسكي تجاه مسألة القوة العسكرية اليهودية وأهميتها ومركزيتها في تحقيق أهداف الصهيونية وفي الصراع ضد العرب في البلاد، وتجد هذه النقطة تعبيرا لها في فهمه لمسألة وتيرة الزمن. فعامل الزمن، حسب رؤيته[٧٨]، لا يعمل في صالح الحركة الصهيونية، معتبرا أن الزمن المتاح للحركة من أجل تحقيق أهدافها هو زمن محدود وذلك بالأساس بسبب تنامي قوة الحركة الوطنية الفلسطينية في العشرينيات والثلاثينيات، وبسبب مشكلة الميزان الديمغرافي الذي يميل بشكل حاسم في صالح العرب، مما يجعل من الصعب، لا سيما في غياب هجرة جماعية، تحقيق أغلبية يهودية في البلاد. يقول جابوتنسكي "الزمن يعمل لصالح أعدائنا أكثر مما هو في صالحنا. والتسليم بموضوع الزمن يعني عمليا التسليم بالظروف القائمة... الهجرة شبه معدومة وستبقى كذلك ما دام الوضع أو النظام قائما على حاله، بينما العدو ينمو ويزداد ماديا ومعنويا على حسابنا فقط. هذه اللعبة لا تستحق المراهنة عليها"[٧٩]. من هنا فإن الحركة الصهيونية، وإذا لم تقم باستغلال عامل الزمن لخلق الأكثرية اليهودية وفرض الوقائع على الأرض قبل أن يتمكن العرب من تنظيم صفوفهم وتعزيز قوتهم، فإنها لن تتمكن من القيام بذلك مستقبلا.

يقول البروفسور يوسف غورني في الصدد ذاته إن نظرة جابوتنسكي إلى حكومة وسلطة الانتداب تحددت بدرجة كبيرة بناء على تقديره وموقفه تجاه المسألة العربية. وقد تأثرت سياسته الحازمة – المتشددة– بشكل حاسم بخشيته، ليس بالذات على مصير يهود أوروبا، وإنما من تنامي القومية العربية في الشرق الأوسط. لذلك فقد اعتقد أن وجود نظام استعماري صارم وقوي، تنشأ بفضله، خلال ٣٠ عاما، أكثرية يهودية في أرض إسرائيل على ضفتي نهر الأردن... هو الكفيل فقط بانقاذ الصهيونية. وبما أنه لا توجد فرصة للتوصل إلى تسوية مع العرب قبل إيجاد الأكثرية اليهودية، فلا بد إذن من إقامة الكتيبة العبرية لتتولى حماية الاستيطان اليهودي ولتكون "جداراً حديدياً" لهذا الاستيطان. في أواخر العقد ازدادت خشية جابوتنسكي من تنامي الحركة الوطنية العربية في "أرض إسرائيل"، وازدادت جنبا إلى جنب مطالبته بإتباع سياسة صهيونية حازمة[٨٠].

من هنا، وانطلاقا من شعوره بالإلحاحية، رأى جابوتنسكي في تجسيد الصهيونية عملية طويلة ومتدرجة تبني خلالها الحركة الصهيونية قاعدة اقتصادية واستيطانية. ولذلك فقد دعا إلى حث وتسريع وتيرة بناء وتوطيد السلطة اليهودية في البلاد بواسطة عناصر أكثر سرعة وأقل حاجة لزمن طويل. وهذه العناصر لا يمكن أن تعبر عن نفسها بتوجه "دونم آخر، عنزة أخرى" الذي يتبناه المعسكر المركزي في الحركة الصهيونية، وإنما بواسطة عناصر أكثر ثورية وراديكالية تتبنى الهجرة الجماعية وفكرة القوة العسكرية اليهودية التي اعتبرها جابوتنسكي شرطا مركزيا لأمن "اليشوف" اليهودي ولتجسيد أهداف الصهيونية. تجدر الاشارة إلى أن مهمة القوة العسكرية اليهودية لا تقتصر على حماية اليشوف اليهودي، حسبما يقول غورني في الاقتباس أعلاه، وإنما مهمتها أيضا هي المساعدة في الاستيلاء على فلسطين وسلبها من أبنائها[٨١]. هذا التغيير في دور القوة العسكرية اليهودية وجد تعبيرا له في موافقة جابوتنسكي على التعديل الذي أقترح مناحيم بيغن إدخاله على عهد – قسم– حركة "بيتار"، بحيث ينص على تعهد باحتلال البلاد. فبدلا من صيغة "أعد ذراعي للدفاع عن شعبي.." أصبحت الصيغة (المعدلة) للقسم "أعد ذراعي للدفاع عن شعبي ولاحتلال وطني"[٨٢]. هذا التغيير، من الدفاع إلى الاحتلال والحسم، يتلاءم جداً مع رؤية جابوتنسكي السياسية ومؤداها أن الصراع بين الحركة الصهيونية وبين الحركة الوطنية الفلسطينية على البلاد لا يحسم إلا بالقوة العسكرية فقط، والتي تشكل حسب تعبيره، القانون الحديدي لأي مشروع استيطاني: "إذا كنت تريد أن تستوطن بلداً يعيش فيه آخرون، عليك أن تقيم في هذا البلد حامية... وإلا ستضطر للتخلي عن الاستيطان، لأنه من دون وجود قوة مسلحة تحول دون إمكانية عرقلة الجهة التي تقوم بالتوطين سيكون الاستيطان مستحيلا... ولأن الصهيونية هي استيطان فإن مصيرها بأكمله يتوقف على القوة المسلحة". ويضيف قائلا: "من المهم أن نحرث ونفلح الأرض، أن ننتج وأن نتحدث العبرية.. لكن الأهم هو أن نعرف كيف نطلق النار، وإلا سيكون علينا التخلي عن الاستيطان"[٨٣].

الفلسطينيون في الدولة اليهودية: بين الحقوق المدنية... وخيار التهجير

يطرح جابوتنسكي مع تحقيق أهداف الحركة الصهيونية بواسطة الحسم العسكري تصورا لمكانة الفلسطينيين كأقلية قومية في الدولة اليهودية بعد قيامها. وقد عبر عن موقفه هذا في "مسودة دستور"[٨٤] قام بصياغتها، وهدفها الرئيس كما قال هو "... إعطاؤهم (أي الفلسطينيين) على الأقل تصورا بشأن ما ينوي اليهود عمله عندما يصبحون أغلبية، وحين تتحول أرض إسرائيل إلى دولة (يهودية) تتمتع بحكم ذاتي". مسودة الدستور، التي قام جابوتنسكي ببلورتها، تستند مبدئيا إلى خطة هلسينغفورس (هلسينكي في فنلندا) من العام ١٩٠٦، والتي ساهم جابوتنسكي نفسه في إعدادها. وتتناول هذه الخطة في الأصل وضع اليهود كأقلية قومية في الدول المختلفة، وفي روسيا بشكل خاص[٨٥]. وبحكم مبادئها العامة وبحكم طابعها العالمي، تعتبر هذه الوثيقة ذات صلة بمكانة الفلسطينيين كأقلية قومية في الدولة اليهودية المزمع إقامتها. تمسك جابوتنسكي بهذه المبادئ وجد تعبيرا له في مقاله "الجدار الحديدي" الذي استهله بقسم الولاء لتلك الخطة: "أنا فخور بانتمائي للمجموعة التي صاغت خطة هلسينغفورس، إنها خطة بشأن حقوق قومية من أجل جميع القوميات التي تعيش في نفس الدولة. حين صغنا هذه الخطة لم نقصد اليهود فقط، وإنما جميع الشعوب والأماكن، وأساسها هو المساواة في الحقوق. أنا مستعد لأن أقسم باسمنا وباسم أبنائنا وأحفادنا بأننا لن نخل أبدا بالمساواة في الحقوق"[٨٦].

أما مبادئ "مسودة الدستور" التي صاغها، والتي تحدد مكانة

الاقتلاع الفلسطيني عام ١٩٤٨

الفلسطينيين كأقلية قومية في الدولة اليهودية، فقد لخصها في مقاله "المسألة العربية بدون دراماتيكية" وتنص على ما يلي:

١. مساواة تامة في الحقوق المدنية في جميع قطاعات ومناحي حياة الجمهور لكل مواطني الدولة دون تمييز قومي، ديني، طائفي أو جماعي.

٢. تمثيل متناسب لليهود والعرب في البرلمان والبلدات المختلطة وفي الجهاز العام للدولة. ويذهب جابوتنسكي شوطا أبعد في هذا السياق بقوله: "في كل مجلس وزاري (كابينيت) يشغل فيه يهودي منصب رئيس حكومة، يعرض منصب نائب رئيس الحكومة لتوليه من قبل شخص عربي، وكذلك العكس".

٣. مكانة متساوية للغتين العبرية والعربية، في الدولة. أي أن استخدام اللغتين سيكون ذا نفاذ قانوني متساو في البرلمان والمحاكم والمدارس والوزارات والدوائر الحكومية...

٤. حقوق قومية بإدارة ذاتية في جميع نواحي الحياة القومية: الدين، الثقافة، التعليم، القضاء، فرض الضرائب داخل منطقة الحكم الذاتي...

٥. إضافة إلى مجلس النواب (البرلمان) المشترك الذي سيعالج جميع المجالات الرسمية، ينتخب العرب واليهود لأنفسهم- بشكل منفصل- مجلس نواب مخولين بسن قوانين تتعلق بمنطقة الحكم الذاتي لكل منهما. أي أن لمجلسي النواب، أو البرلمان القومي، صلاحية إدارية في الإدارة الذاتية للحياة القومية.

٦. الأماكن المقدسة في البلاد بشكل عام، وفي القدس بشكل خاص، تتمتع بمكانة (حصانة) سيادية وتخضع لإشراف دولي من قبل "عصبة الأمم".

٧. حرية الهجرة لكل يهودي يرغب في الهجرة إلى الدولة اليهودية[٨٧].

وفقا لهذه المبادئ فإن جابوتنسكي يمنح الفلسطينيين كأقلية قومية مساواة تامة في الحقوق المدنية إضافة إلى حقوق قومية بإدارة ذاتية. غير أن هناك شيئا واحداً لا يبدي أي استعداد للتنازل عنه: الحق في السيادة القومية على البلاد محفوظ لليهود وحدهم فقط. فالحق في رسم السياسة القومية في مسائل أساس هو في يد اليهود. ولكن في حال لم يكتف الفلسطينيون بهذه الحقوق ولم يسلموا بمكانتهم هذه، حسبما حددها في مسودة دستوره، فإن "الكاتب لن يرى مأساة أو كارثة في استعدادهم للهجرة". [٨٨] على العكس، فهو يعبر في المقال ذاته عن ارتياحه وسروره إذا ما "دعت" دولة عربية ما الفلسطينيين إلى الهجرة إليها. بل وأشار أيضا إلى أن هجرتهم هذه "ستعود بالفائدة على الدولة التي ستقوم باستيعابهم"، فأية دولة عربية "تجد الشجاعة وتمتلك الأراضي اللازمة لدعوة واستيعاب مثل هذه الهجرة، ستحصل على مكاسب وامتيازات مادية ضخمة: ستحصل فورا على مبالغ مالية غير محدودة وعلى خيرة خبراء العالم الذين سيكونون تحت تصرفها من أجل تنفيذ خطط جريئة جداً لاستصلاح وري الأراضي.. علاوة على ذلك فإن التفكير السليم يحتم أن يأخذ المهاجرون العرب معهم حميرا محملة بثروة ضخمة"[٨٩].

هذا التأرجح بين الحديث عن منح الفلسطينيين حقوقا مدنية كاملة، بل وحتى شكلا من كيان قومي يتمتع بإدارة ذاتية محدودة، وبين دراسة إمكانيات التهجير والتخطيط الفعلي لتنفيذه يعبر عن فجوة كبيرة في موقف جابوتنسكي والحركة الصهيونية عامة. فعلى الرغم من إعرابه في مناسبات كثيرة عن معارضته ترحيل الفلسطينيين من البلاد، إلا إن جابوتنسكي مال في النهاية إلى اعتبار فكرة الترانسفير حلا عمليا وإيجابيا للنزاع بين الجانبين. وقد ذكر إدوارد نورمان[٩٠]، وهو متبرع يهودي من الولايات المتحدة وصاحب فكرة ترحيل الفلسطينيين إلى العراق، بل وأجرى مفاوضات حول هذا الموضوع مع الحكومة العراقية في حينه، أن جابوتنسكي عبر عن تأييده لفكرة الترانسفير – الترحيل- إلى العراق، بل واقترح تكتيكا دعا الحركة الصهيونية إلى إتباعه من أجل تشجيع هجرة ورحيل العرب من فلسطين. ووفقا لهذا التكتيك فإن على الحركة الصهيونية من جهة أن تعارض علنا هجرة العرب من البلاد، وأن تحرص في الوقت ذاته على أن تفسر معارضتها هذه على النحو الآتي: "إن اليهود يريدون أن يبقى هؤلاء (الفلسطينيون) في البلاد فقط من أجل استغلالهم"، فهذا الأمر سيشيع الخوف في صفوف الفلسطينيين فيما يتعلق بوضعهم في الدولة اليهودية، ويدفعهم للخروج من البلاد.

هذا التأرجح بين الحديث عن منح الفلسطينيين حقوقا مدنية كاملة، بل وحتى شكلا من كيان قومي يتمتع بإدارة ذاتية محدودة، وبين دراسة إمكانيات التهجير والتخطيط الفعلي لتنفيذه يعبر عن فجوة كبيرة في موقف جابوتنسكي والحركة الصهيونية عامة. فعلى الرغم من إعرابه في مناسبات كثيرة عن معارضته ترحيل الفلسطينيين من البلاد، إلا إن جابوتنسكي مال في النهاية إلى اعتبار فكرة الترانسفير حلا عمليا وإيجابيا للنزاع بين الجانبين. وقد ذكر إدوارد نورمان٩٠، وهو متبرع يهودي من الولايات المتحدة وصاحب فكرة ترحيل الفلسطينيين إلى العراق، بل وأجرى مفاوضات حول هذا الموضوع مع الحكومة العراقية في حينه، أن جابوتنسكي عبر عن تأييده لفكرة الترانسفير - الترحيل- إلى العراق

ولم يكن ذلك من باب الصدفة أن جابوتنسكي، في مقال نشره في العام ١٩٣٩، أورد حديثا أجراه مع يسرائيل زانغويل (١٨٦٤- ١٩٢٦)، الذي كان يعتبر من المؤيدين المتحمسين لفكرة ترحيل الفلسطينيين، قال فيه هذا الأخير من ضمن جملة أشياء أخرى "إذا كنتم تريدون إعطاء أرض/ بلاد لشعب بلا وطن، فإن من الغباء الاعتقاد بأن هذه البلاد ستكون وطنا لشعبين. هذا الأمر سيجلب مشاكل فقط، وسيعاني اليهود وجيرانهم على حد سواء. هناك إمكانيتان: إما أن يجدوا لليهود مكانا آخر، وإما أن يجدوا مكانا آخر لجيرانهم". وعلى الرغم من أن جابوتنسكي يقول بأنه لا يرى نفسه كنصير لزانغويل، إلا إنه يؤكد في نفس المقال بأنه "لم يعد مجديا التغاضي عن ذلك التوجه لمشكلة القوميات، أو مشكلة الأعراق كما يسمونها اليوم، والذي سمعته على لسان زانغويل". ويجد جابوتنسكي مسوغا لفكرة الترانسفير هذه في مثال ترحيل الأقلية القومية الألمانية من جنوب تيرول الايطالية، وخاصة أن الأمر تم "كسابقة ودية... ومحاولة بناءة لتسوية مشكلة القوميات بما يخدم المصالح المشتركة للجانبين". وهذا الأسلوب في حل الخلافات بين القوميات لا يمكن تجاهله من قبل الحركة الصهيونية كخيار لتسوية الصراع مع الحركة الوطنية الفلسطينية[٩١]. فالتهجير هو اغلاق لحلقة العنف تجاه الفلسطينيين والتي بدأت في التنكر لكينونتهم ولهويتهم الوطنية، واستمرت في التأسيس المادي والأدبي لسلب حقوقهم ووطنهم، لتنتهي بكسر شوكة مقاومتهم والاستيلاء على هذا الوطن بالقوة.

الهوامش

١ الشهادة أمام لجنة بيل ص٢
٢ جابوتنسكي، كتابات صهيونية أولى، "الصهيونية وأرض إسرائيل" ص ١١٤.
٣ بيلع، موشيه (١) صراعنا في اختبار الأخلاق والعدل حسب نظرية جابوتنسكي ص ١٠.
٤ جابوتنسكي، المصدر السابق ص ١١١.
٥ جابوتنسكي، المصدر السابق ص ١٢٤-١٢٥.
٦ جابوتنسكي، كتابات صهيونية أولى، "حول النزعة الإقليمية" ص ١٥١-١٥٢.
٧ المصدر السابق ص ١٥١-١٥٢.
٨ "صهيون والشيوعية" لدى ندافا، الرجل ونظريته ص ١٦١-١٦٢.
٩ الشهادة أمام لجنة بيل ص ٢.
١٠ المصدر السابق.
١١ بيلع، موشيه (٢) عالم جابوتنسكي ص ٢٢٠.
١٢ شفيط، يعقوب: موقف الحركة التصحيحية من الحركة القومية العربية ص ٧٧.
١٣ جابوتنسكي: تركيا في الحرب- مذكرات بن دوري ص ١٨٩-١٩٣.
١٤ جابوتنسكي: الجدار الحديدي- لدى ندافا ص ٢٣٧.
١٥ المصدر السابق ص ٢٣٩
١٦ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- مائدة مستديرة مع العرب ص ٢٤٧.
١٧ أفينيري، ش: الفكرة الصهيونية على اختلاف تلاوينها، أكتسين، ب: سياسة جابوتنسكي الخارجية ص ٣٨.
١٨ غورني، يوسيف: المشكلة اليهودية والمسألة العربية ص ٣٤٤.
١٩ بيلع، موشيه (٢) المصدر السابق ص ٢٢١.
٢٠ المصدر السابق ص ٢٢٠.
٢١ جابوتنسكي: خطابات ١٩٢٧-١٩٤٠، محاضرة أمام أعضاء البرلمان البريطاني ص ٢٨٠.
٢٢ المصدر السابق ص ٢٧٩.
٢٣ المصدر السابق.
٢٤ بيلع، موشيه (٢) المصدر السابق ص ٤٣٤.
٢٥ جابوتنسكي: شرق الأردن وخطة العقد ص٢٣٥.
٢٦ المصدر السابق.
٢٧ المصدر السابق ٤٣٢.
٢٨ المصدر السابق ٢٢١.
٢٩ جابوتنسكي: الأدب والفن وموضة الأرابسك ص ٢٢٠-٢٢١.
٣٠ جابوتنسكي: مقالات الشرق ص ٢٧٩
٣١ المصدر السابق ٢٧٨.

٣٢ المصدر السابق ٢٨٠.
٣٣ المصدر السابق.
٣٤ جابوتنسكي: مذكرات بن دور، تركيا في الحرب ص ١٩٤.
٣٥ جابوتنسكي: مقالات، الشرق - ٢٧٦
٣٦ جابوتنسكي: مقالات، الشرق- ٢٨٣.
٣٧ جابوتنسكي: مقالات، الشرق - ٢٨٣
٣٨ المصدر السابق ٢٧٦
٣٩ المصدر السابق
٤٠ المصدر السابق ٢٧٦.
٤١ مقارنة جابوتنسكي بين الاستيطان الصهيوني في البلاد وبين الاستيطان الأوروبي في أماكن أخرى من العالم تتجلى أو تنعكس في أماكن كثيرة من كتاباته ومؤلفاته. أنظر مثلا: ما الذي يريده الصهيونيون التصحيحيون- أهل الذمة؛ أخلاق الجدار الحديدي: في كتابه: في الطريق إلى الدولة. أفينيري، ش. المصدر السابق ٢١٤.
٤٢ هوروفيتس، دان، ليسك، موشيه: "من الييشوف إلى الدولة" ص ٢٠٢.
٤٣ جابوتنسكي: الجدار الحديدي- لدى ندافا، المصدر السابق ص ٢٣٤.
٤٤ المصدر السابق ٢٣٤.
٤٥ المصدر السابق ٢٣٥
٤٦ المصدر السابق ٢٣٥
٤٧ المصدر السابق ٢٣٥
٤٨ المصدر السابق ٢٣٦
٤٩ المصدر السابق ٢٣٧
٥٠ المصدر السابق ٢٣٨
٥١ المصدر السابق ٢٣٩
٥٢ لفينغر، يوسيف: الرجل والجدار، جابوتنسكي في المشكلة القومية العربية ص ١٤١.
٥٣ المصدر السابق ٢٣٤
٥٤ أنظر ملاحظة رقم (١)
٥٥ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- الأغلبية ص ١٩٨.
٥٦ المصدر السابق.
٥٧ جابوتنسكي: خطب ١٩٢٧-١٩٤٠: حول رسالة ماكدونالد وهدف الصهيونية ١١٨.
٥٨ لفينغر، ي: المصدر السابق ١٣٨.
٥٩ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- الأغلبية، ١٩٩.
٦٠ غولدشتاين، يعقوب: في الطريق إلى الهيمنة- مباي: تبلور السياسة ص ٤٣-٥١.
٦١ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- الأغلبية ص ٢٠١-٢٠٢
٦٢ المصدر السابق ص ٢٠٣.
٦٣ المصدر السابق ص ٢٠٢-٢٠٣.
٦٤ المصدر السابق ١٩٩-٢٠٠
٦٥ جابوتنسكي- في الطريق إلى الدولة- ما الذي يريده الصهيونيون التصحيحيون ٢٨٣-٢٨٤.
٦٦ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- أهل الذمة ص ١٨٦.
٦٧ جابوتنسكي: الطريق إلى التصحيحية الصهيونية – الجيش ص ١٧١- تحرير: ندافا يوسف.
٦٨ جابوتنسكي: في الطريق الدولة- يهود مرعيون ص ١٩٠.
٦٩ جابوتنسكي: الطريق إلى التصحيحية الصهيونية- الجيش ١٧١
٧٠ المصدر السابق.
٧١ المصدر السابق ١٧١-١٧٢
٧٢ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- يهود مرعيون
٧٣ دوف، بار- نير: المواجهة: بن غوريون والتصحيحيون ص ٩٤.
٧٤ أفنيري ، ش: المصدر السابق ص ٢١٢.
٧٥ جابوتنسكي: في الطريق إلى الدولة- ما الذي يريده الصهيونيون التصحيحيون ص ٢٩٧-٢٩٨.
٧٦ مركز زلمان شازار- الأيديولوجيا والسياسة الصهيونية ص ١٣٣.
٧٧ سوفير، ش: النخب السياسية ورؤى السياسة الخارجية: المجتمع اليهودي في أرض إسرائيل من خطة التقسيم ١٩٣٧ وحتى إقامة الدولة ص ٢٧٣.
٧٨ هوروفيتس، دان- المصدر السابق ١٨٤.
٧٩ لفينغر- المصدر السابق.
٨٠ عوزي، يوسيف: نفس المصدر ص ٢٣٦-٢٣٧.
٨١ عيلام، يغئال: مدخل إلى تاريخ صهيوني آخر ص ١٧٥. هيلر، يوسيف، المصدر السابق ٢٩٥.
٨٢ دوتان، شموئيل: في الصراع على أرض إسرائيل ١٨١.
٨٣ لفينغر، المصدر السابق ٢١٤.
٨٤ جابوتنسكي: المسألة العربية بدون دراماتيكية؟، لدى ندافا.
٨٥ ندافا، المصدر السابق ص ٢٢-٢٣، بيلع أنظر ما يتعلق بـ هلسينغفورس.
٨٦ جابوتنسكي: الجدار الحديدي، المصدر السابق ٢٣٣.
٨٧ جابوتنسكي: المسألة العربية بدون دراماتيكية، المصدر السابق ٢٤٤-٢٤٨.
٨٨ جابوتنسكي: المسألة العربية بدون دراماتيكية، المصدر السابق ٢٤٨.
٨٩ المصدر السابق ٢٥٠.
٩٠ جابوتنسكي: مذكرات بن دوري، حديث مع زانغويل.
٩١ المصدر السابق ٢٦٣.

ببليوغرافيا

جابوتنسكي، زئيف- مقالات. إصدار ع. جابوتنسكي- ١٩٤٧-١٩٥٩.
١. والمجتمع.
٢. الطريق إلى الدولة.
٣. بغضب
٤. مذكرات بن دوري.
٥. كتابات صهيونية أولى.
٦. خطب ١٩٠٥- ١٩٢٦
٧. خطب ١٩٢٧- ١٩٤٠.
٨. الأدب والفن.
٩. مقالات.
١٠. السياسة الصهيونية.
١١. الدولة العبرية- حل مسألة اليهود.
١٢. شعب إسرائيل وجبهة الحرب.
١٣. أفنيري، شلومو: الفكرة الصهيونية على اختلاف تلاوينها- عام عوفيد- تل أبيب ١٩٨٠.
١٤. أبي زوهر، مئير، فريدمان، يشعياهو: تأملات في مشاريع التقسيم ١٩٣٧-١٩٤٧، مركز تراث بن غوريون، ١٩٨٤.
١٥. إلياف، بنيامين (محرر): "الييشوف" في عهد البيت القومي ١٩١٧-١٩٤٨- القدس ١٩٧٦.
١٦. أكتسين، بنيامين: السياسة الخارجية لدى جابوتنسكي- جيشر- ١٩٦٠.
١٧. بيلع، موشيه: عالم جابوتنسكي- خلاصة أقواله وجوهر نظريته. إصدار "سبوسيم" تل أبيب ١٩٧٢.
١٨. بيلع، موشيه: صراعنا في اختبار الأخلاق والعدل حسب نظرية زئيف جابوتنسكي. إصدار: صندوق المنشورات على إسم شوشانا وشلومو ميرتس- تل أبيب ١٩٧١.
١٩. بار- إيال، آفي: بن غوريون وجابوتنسكي- مكونات النزاع- اتجاهات.
٢٠. بارنير، دوف: من جابوتنسكي وحتى بيغن- صورة حركة. إصدار: عام عوفيد. تل أبيب ١٩٨٣.
٢١. بار- نيف، دوف: المواجهة- بن غوريون والتصحيحيون. عام عوفيد ١٩٨٧.
٢٢. غولد شتاين، يعقوب: في الطريق إلى الهيمنة- مباي، تبلور السياسة ١٩٣٠- ١٩٣٦- تل أبيب ١٩٨٠.
٢٣. غورني، يوسيف: المسألة العربية والمشكلة اليهودية- عام عوفيد، تل أبيب ١٩٨٥.
٢٤. دوتان، شموئيل: جدل التقسيم في فترة الانتداب- القدس – ١٩٨١.
٢٥. دوتان، شموئيل: الصراع على أرض إسرائيل- وزارة الدفاع، تل أبيب ١٩٨٣.
٢٦. هوروفيتس، دان، ليسك، موشيه: من "الييشوف" إلى الدولة – عام عوفيد، تل أبيب ١٩٧٧.

٢٧. هيلر، يوسيف: وايزمان، جابوتنسكي والمسألة العربية- قضية لجنة بيل- داخل: الأزمة وتاريخها- الجزء الثاني- مركز زلمان شزار- القدس- ١٩٨٤.

٢٨. هيلر، يوسيف: في الصراع إلى الدولة: السياسة الصهيونية في سنوات ١٩٣٦-١٩٤٨. مركز زلمان شزار القدس- ١٩٨٥.

٢٩. لفينغر، يوسف: الرجل والجدار- جابوتنسكي والمشكلة القومية العربية (رسالة ماجستير) جامعة تل أبيب ١٩٧٧.

٣٠. ندافا، يوسيف (محرر): زئيف جابوتنسكي- الطريق إلى التصحيح الصهيوني- معهد جابوتنسكي- تل ابيب ١٩٨٤-

٣١. ندافا، يوسيف (محرر): زئيف جابوتنسكي- تل أبيب ١٩٨٤.

٣٢. سوفير، ساسون- النخب السياسية ورؤى السياسة الخارجية: المجتمع اليهودي في أرض إسرائيل- من خطة التقسيم ١٩٣٧ وحتى إقامة الدولة. رسالة للقب الدكتوراه في الفلسفة، الجامعة العبرية ١٩٨٢.

٣٣. عيلام، يغئال: مدخل إلى تاريخ صهيوني آخر- تل أبيب ١٩٧٥.

٣٤. تسبي، أديب: تأملات في النظرية الصهيونية لدى زئيف جابوتنسكي (داخل): الأيديولوجيا والسياسة الصهيونية – مركز زلمان شزار- القدس ١٩٧٨.

٣٥. كوليت، يسرائيل: الحركة الصهيونية والعرب- داخل الصهيونية والمسألة العربية. مركز زلمان شزار ١٩٧٩.

٣٦. روبنشتاين، آشر: موقف جابوتنسكي في موضوع احتلال العمل العبري- "كيفونيم".

٣٧. شفيط، يعقوب: موقف الحركة التصحيحية من الحركة القومية العربية- داخل: الصهيونية والمسألة العربية (محرر) إسحق كوهين، مركز زلمان شزار- القدس ١٩٧٩.

٣٨. شختمان، يوسف: زئيف جابوتنسكي- قصة حياته- إصدار "كارني" – تل أبيب- ١٩٥٦.

٣٩. شابيرا، أنيتا: الصراع اليائس حول العمل العبري ١٩٢٩-١٩٣٩، تل أبيب ١٩٧٦.

صدر عن "مدار"